بسم الله الرحمن الرحيم

اليعقوبية ومعتقداتها

عرض ومناقشة

إعداد الدكتور

حمدى عبد الله نافع

المدرس بقسم العقيدة والفلسفة فى الكلية

والمعار بقسم الدراسات الإسلامية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة الإمارات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

الحمد لله الواحد الأحد، الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له شريك فى الملك، وخلق كل شئ فقدره تقديرا، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فإن البحث فى عقائد النصارى صعب وشائك لأنه يمس الذات الإلهية فى أخص خصائصها من حيث كونها واحدة قديمة منزهة عن الشريك والصاحبة والولد... ونظراً لتعرض الديانة المسيحية بعد المسيح – عليه السلام– للتحريف والتزييف على يد "بولس" الذى يعده الباحثون الغربيون المؤسس الحقيقى للديانة المسيحية الحالية[1]، فإن ذلك قد حدا بالباحثين المسلمين أن يتعرضوا لهذه العقائد بالمناقشة والنقد.

---

(١) مقارنة الأديان (٢) المسيحية صـ١٠٤ د.أحمد شلبى، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السادسة ١٩٧٨م.

ولما كانت النصارى مختلفة فيما بينها فى هذه العقائد نجدهم قد تفرقوا إلى فرق متعددة[1] تتبنى كل فرقة رأياً قد يختلف عن آراء الفرق الأخرى بل قد يتناقص معها، وقد كان للفرق الثلاث الكبرى القديمة (اليعقوبية والنسطورية والملكانية) دوراً بازراً فى توجيه العقائد المسيحية وصياغتها عن طريق عقد المجامع الكونية وغيرها، والتى امتدت أصول هذه العقائد إلى الوقت الحالى.

ولما كانت فرقة "اليعقوبية" من أبرز هذه الفرق حيث تبنى أصحابها والمروجون لعقائدها وعلى رأسهم " يعقوب البرادعى" الذى تنسب إليه هذه الفرقة تبنوا آراء كنيسة الإسكندرية بمصر، وعملوا على نشرها ومناصرة القول بأن للمسيح طبيعة واحدة.

وكانت هى أخلص الفرق السيحية لقانون "الإيمان" النيقاوى الذى أقر فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م والذى يعد نقطة التحول الكبرى فى الديانة المسيحية حيث تم فيه الإقرار بألوهية المسيح، وأنه ابن الله المتجسد.

ونظراً لكون آراءهم تتسم بالتناقض التام لمقتضى العقل والمنطق والتفكير العلمى السليم، وتظهر مدى تطرفهم العقدى الذى كان مسار نقد من المسيحيين أنفسهم من أصحاب الفرق الأخرى (كالنطورية والملكانية)،

---

(١) أوصل عددهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى أثنين وسبعين فرقة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"تفرقت اليهود على أحدى وسبعين أو أثنين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة " رواه الترمذى فى مسنده عن أبى هريرة كتاب الإيمان، باب ما جاء فى افتراق هذه الأمة. حديث رقم (٦٤). سنن الترمذى جـ٥/٢٥،٢٦ تحقيق إبراهيم عطية عوض، طبعة -مصطفى الحلبى- ط أولى ١٣٨٢هـ، ١٩٦٢م.

فضلاً عن نقد المسلمين لهم لأنهم جاءوا من القول -كما يقول الحسن بن أيوب- " بما لو عرض على السماء لانفطرت أو على الأرض لانشقت أو على الجبال لانهدت"(١).

ولأنهم سلف لأحد المذاهب المسيحية المعاصرة الكبرى القائلين بأن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين، وهم "الأرثوذكس" وبصفة خاصة "السريان الأرثوذكس" الممثلون وبقوة فى المجتمع المسيحى الحالى فى مصر وبلاد الشام (لبنان) وفى العراق، ودول شرق آسيا وفى أوربا الشرقية وغيرها.

لأجل ذلك ولأسباب أخرى تظهر فى ثنايا البحث كان اختيارنا لفرقة اليعقوبية ومعتقداتها لتكون موضوعاً لهذا البحث.

الذى يتكون من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

أما التمهيد ففى عيسى-عليه السلام- وخصائص رسالته.

والمبحث الأول فى: تطور المسيحية بعد المسيح.

والمبحث الثانى فى: ظاهرة التفرق فى الديانة المسيحية.

أما المبحث الثالث فى: معتقدات اليعقوبية.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٤/صـ١٩١ لابن تيمية تحقيق د. على حسن بن ناصر، د. عبد العزيز العسكر، د. حمدان بن محمد محمدان، طبعة دار العاصمة للنشر والتوزيع - الرياض السعودية ١٤١٤هـ.

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: ألوهية المسيح وعقيدة التجسد عند اليعقوبية.

المسألة الثانية: عقيدة التثليث عند اليعقوبية.

المسألة الثالثة: عقيدة الصلب والفداء عند اليعقوبية.

ثم الخاتمة، وفيها أهم نتائج البحث، ويليها ثبت بأهم مصادر البحث.

والله الموفق،،،

إعداد الدكتور

حمدى عبد الله نافع

المدرس بقسم العقيدة والفلسفة فى الكلية

والمعار بقسم الدراسات الإسلامية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

تمهيد:

عيسى عليه السلام وخصائص رسالته:

أولاً: بيئة المسيح ونشأته:

ولد عيسى-عليه السلام- يهودياً ولم يعرف خلال حياته القصيرة غير البيئة اليهودية فاستمد منها وحدها عناصر ثقافته وخضع كسائر مواطنيه إلى المؤثرات التى عملت فيها، وكانت فلسطين خاضعة للسيادة الرومانية منذ أن استولت رومة على أورشليم القدس سنة ٦٣ق.م.

وكان الشعب اليهودى فى عهد عيسى يبدو بمظهر الشعب المتحد فى الجنس والدين والتقاليد، إلا أن هذه الوحدة تخفى قدراً لابأس به من التنوع حيث كانت طبقة من رجال الدين حول الهيكل تعتلى السلم الاجتماعى، يليهم طبقة (الكتبة) وهم فقهاء الشرع الذين انكبوا على شرح الكتاب المقدس متأثرين بالمذاهب الثنوية التى تتعارض فيها الروح والمادة أو النفس والجسد، وبالنظريات اليونانية فى الإله والكون والإنسان.

وقد شهد المجتمع اليهودى فى هذه الفقرة العديد من الفرق الدينية السياسية فكان هناك " الصدوقيون" و "الفريسيون" و "الأسينيون"، وكانت منطقة فلسطين الوسطى بعيدة عن روح الوحدة الدينية، وكانت البنوة فى نظر اليهود وظيفة منظمة، وكانوا يعتبرون الأنبياء أشخاصاً ملهمين مكلفين من الله بتبليغ رسالة معينة، إلا أن النبوة بهذا المعنى قد انطفأت تدريجياً ولم تعد موجودة فى هذا العهد إلا فى شكل نبوات مدونة، لذا كان الانتظار متعلقاً لابنبى يندرج ضمن عموم الأنبياء، بل بالنبى بأتم معنى الكلمة (أى بآخر الأنبياء) ذاك الذى سيحقق كل نبوة فى آخر الأزمنة.

ومن آرائهم حوله أنه قد تجسد على التوالى فى أشخاص مختلفين متخذاً فى كل مرة مظهراً مغايراً وأنه سيعود إلى الأرض عند انقضاء الدنيا، فانبنى على ذلك الاعتقاد بعودة "موسى" -عليه السلام- أو نبى يشبهه. إلا أن المنتظر أكثر من غيره هو 'أيليا' وأن تعلق الأمر أحياناً بـ "اخنوح" نظراً لأن كليهما لم يمت حسب العهد القديم ولكن رفع إلى السماء.

وهكذا يتلاقى فى شخص عيسى مفهوم النبى المنتظر ومفهوم المسيح الموعود، ويتبين مدى استعداد الأذهان آنذاك لقبول الدعوة الجديدة فى نطاق المقولات السائدة فى المجتمع اليهودى وحتى عند الوثنيين الذين انتشرت بينهم أديان الخلاص.(١)

وذلك يوضح أن العوامل التى واكبت ظهور المسيح فى فلسطين كانت تتآزر كلها لتضفى على عيسى صفات معينة تتجاوز شخصه وتعاليمه الحقيقية إلى ما ينتظر منه وما تحتاج إليه العقلية الرائجة فى عصره، حيث أعدوا لها قالباً ورسموا لشخصه ولدعوته طريقاً يحيد عن الحق وعما جاء به من رسالة تدعو إلى عبادة الله الواحد.

ثانياً: حياة المسيح:

إن الغموض الذى يكتنف أصل عيسى ومكان ولادته وظروفها، وما كانت عليه حياته، لا يرفعه الصبغة الشعرية التى تتميز بها أخبار الولادة فى انجيلى متى ولوقا.

---

(١) الفكر الإسلامى فى الرد على النصارى صـ٣١ د. عبد المجيد الشرفى - الدار التونسية للنشر - تونس-١٩٨٦م.

فالمؤرخ لحياة عيسى عليه السلام، لا يجزم باستحالة معرفة حياته، وفى الوقت ذاته لايثق فى الوثائق المتوفرة فى هذا الشأن، بل يعترف بإمكانية العثور على بعض مظاهرها الأساسية وفهم وجهتها العامة دون معرفتها بالدقة المرجوة أو أمل فى تتبع مسارها التفصيلى.

فالذى ينظر فى أقدم وثائق المسيحية ، يجدها منفردة عن سائر النصوص الأخرى بضعف فى السند وعسر فى التحقيق، وهذا ما يؤكده " شارل جنبير" بقوله: " إن البحث الدقيق الذى دار فى السنوات الأخيرة على أساس الوثائق الأصلية لم يثبت سوى تصوير حياة عيسى فى شئ من اليقين والتثبت، ويجب علينا أن ننظر إلى الكتب التى تدعى سرد سيرته على أنها مؤلفات تستند إلى كثير من التحكم والنزعات الذاتية.... '... فتصفح الأناجيل وحدها يكفى لإقناعنا بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى تركيبات واضحة التعارض لنفس الأحداث والأحاديث، مما يحتم القول بأنهم لم يلتمسوا الحقيقة الواقعية فى كتابتها، ولم يستلهموا تاريخاً ثابتاً يفرض تسلسل الحوادث عليهم؛ بل على العكس من ذلك اتبع كل هواه وخطته الخاصة فى تنسيق وترتيب مؤلفه' وهكذا لم نعد نستطع أن نميز فى وضوح الجوانب التاريخية لشخصية عيسى ولم نعد نملك تلك المراجع اللازمة لتحديد أحداث حياته فى دقة" (١).

(١) المسيحية نشأتها وتطورها صـ٢٦،٢٨،٢٩ تشارل جنيبر ترجمة الشيخ د. عبد الحليم محمود طبع المكتبة العصرية -بيروت (د.ت).

وأغلب الظن فى هذا المجال هو أن عيسى -عليه السلام- ولد فى وسط يهودى فلسطينى متواضع حوالى سنة (٤) ق.م فى أيام "أوغسطس" قيصر أول إمبراطورية للدولة الرومانية القديمة.

أما عن نشأته وطفولته فلم يتوفر ذلك كثير من المعلومات، يقول القس بولس شباط:" إن الأناجيل قد أوجزت الكلام عن حياة عيسى من مولده إلى دعوته، فلم تذكر منها إلا نذراً يسيراً ... " [١] فكان مما أوردته هذه الأناجيل وما ورد فى المصادر التاريخية الأخرى: أن عيسى نشأ كما نشأ الصبيان فى عهده، وكان ينتقل مع أمه (مريم بنت عمران) بين الناصرة وبيت المقدس، وكان يتمتع بالذكاء الشديد وعمق التفكير، وقد ألم بالتوراة ونال من العلم قسطاً كبيراً، وحين بلغ حوالى الثلاثين من عمره بعثه الله بالبينات وأيده بالمعجزات، ولكن القوم الذين بعث فيهم كانوا غلاظ الرقاب قساة القلوب، فكانت مهمته شاقة عندما حاول هدايتهم، لأن منهم من علم الديانة رسوماً وتقاليد يتجهون إلى ظاهرها ولا يلتفتون إلى لبها وغايتها.

وكان أول ما دعا إليه عيسى عليه السلام، هو عبادة الله الواحد باعتبار ذلك دعوة الأنبياء والمرسلين من قبله فقال لهم "الرب إلهنا رب واحد" [٢].

---

(١) المشرع صـ٩٢ للقس بولس شباط، نقلاً عن مقارنة الأديان (٢) المسيحية صـ٣٧ د. أحمد شلبى مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السادسة ١٩٧٨م.

(٢) إنجيل متى الاصحاح :٢٣:٩-١٠.

يقول مرقس فى إنجيله:" جاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسناً سأله: أية وصية هى أول الكل؟ فأجاب يسوع "عيسى" إن أول كل الوصايا هى: إسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك، وهذه هى الوصية الأولى".(١)

ولما كانت نشأة عيسى -عليه السلام- غير مألوفة للناس، لم يترك الأمر هملاً ليظن الناس به ظنوناً من أن له نسبة إلى الله، بل حدد ذلك بأنه رسول من رب العالمين، أرسله إلى بنى إسرائيل ليهديهم سواء السبيل فقال: "وهذه الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته.(٢)

وقد بين عيسى لبنى إسرائيل أنه لم يأت بشريعة جديدة، وإنما جاء ليكمل التوراة ويصحح إنحرافات اليهود عنها، ومن هنا دعاهم إلى التمسك بها وألا يحيدوا عنها فقال إن تظنوا أنى جئت لا نقص الناموس أو الأنبياء ما جئت لانقص بل لأكمل فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس.(٣)

وهكذا فقد أرسل الله عيسى كما أرسل النبيين من قبله ودعا قومه إلى عبادة الله وعدم الاشراك به، ومحبته سبحانه، وأنه جاء مكملاً لما جاء به موسى فلم يأت بشريعة جديدة ولم يعمل على إزالة شئ من التوراه بل جاء ليصحح ما أفسده بنو اسرائيل وما حرفوه من التوراه، فلم يكن إلا نبياً ورسولاً.

---

(٢) إنجيل مرقس الاصحاح ١٢:٢٨-٢٩.

(٣) إنجيل لوقا الاصحاح ١٤:٣.

(١) إنجيل متى الاصحاح ٥:١٧-١٨.

ثالثاً: موقف اليهود من المسيح:

لم يحقق المسيح آمال اليهود وطموحاتهم حيث إنهم وجدوا دعوته بعيدة كل البعد عن اهتماماتهم؛ بل تعارضت تماماً مع أحلامهم، فلم تخلصهم من الاستبعاد والقهر الرومانى، ولم تتفق التعاليم التى جاء بها مع طباعهم وأخلاقهم حيث جاء ليسوى بين الناس فى المعاملة ويقيم العدل بينهم، وهم يعتبرون أنفسهم الطبقة العليا، وما دونهم فهم خدم وعبيد، فهم يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار، فجاء المسيح وجعل الناس جميعاً سواء أمام ملكوت الله.(١)

كذلك لم تحقق رسالة عيسى لليهود وما يطمعون فيه من الكسب المادى الذى كانوا يحلمون به، وبناء دولة اسرائيل على يديه، فهم قوم عكفوا على المادة، واستغرقتهم واستولت على أهوائهم ومشاعرهم حتى لقد كان نساكهم وسدنة الهياكل عندهم -وقد فاتهم العمل على كسب المال من أبوابه الدنيوية- يجمعون المال من النذور والهياكل، والقرابين التى يتقرب بها الناس، ويحرصون على ذلك أشد الحرص، فكانوا يأخذون القرابين من أشد الناس حاجة وأفقرهم فجاء المسيح وندد بهذا .(٢)

لذلك تقدم اليهود لمناوأة عيسى، وقليل منهم من اعتنق دينه وآمن به، وأخذوا يمنعون الناس من سماع دعايته، فلما أعيتهم الحيلة ورأوا أن الضعفاء والفقراء يستجيبون لندائه، ويلتفون حوله مقتنعين بقوله؛ أخذوا يكيدون له ويوسوسون للحكام بشأنه، ويحرضون الرومان عليه، ولكن الرومان ما كانوا يلتفون إلى المسائل الدينية الخلافات المذهبية بين اليهود بل تركوا هذه الأمور لهم يسوسونها فيما بينهم.

---

(١) محاضرات النصرانية صـ٣٣ للإمام محمد أبو زهرة، طبعة دار الفكر-القاهرة-مصر ١٩٨٢م.

(٢) المرجع السابق صـ٣٢.

لكنهم أردوا إغراء الرومان بعيسى مهما كان الثمن بعد أن رأوا أنه ليس المسيح المنتظر الذى سيخلصهم من ظلم الرومان وطغيانهم، ولأنه كان دائم الكشف عن خداع الكهنة للشعب اليهودى "فبثوا حوله العيون يرصدونه ويتسقطون بشأن الحكومة والحكام، ولما ضاقت بهم الحيل كذبوا عليه ونسبوا إليه تهمة إدعاء الملك على اليهود، وانتهى الأمر إلى أن تمكنوا من حمل الحاكم الرومانى آنذاك على أن يصدر الأمر بالقبض عليه، والحكم بالأعدام صلباً.(١)

ولكن الله نجاه من مكرهم بأن ألقى شبهه على من دل الرومان عليه -على أرجح الروايات- وهو أحد تلاميذه ويعرف بـ" يهوذا الأسخربوطى" فقتلوه وصلبوه على أنه المسيح قال تعالى:" وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم".(٢)

رابعاً: خصائص رسالة عيسى عليه السلام:

قبل حديثنا عن تطور المسيحية بعد المسيح وما آلت إليه من بعد على يد "شاؤل" الذى سمى نفسه بعد ذلك " بولس الرسول" وما تنطوى عليه المسيحية الحالية من مفاسد وافتراءات عقدية ما أنزل الله بها من سلطان والمسيح منها براء، نود أن نخلص إلى أهم خصائص رسالة عيسى -عليه السلام- والتى تثبتها أنا جيلهم المعتمدة عندهم وتؤيدها النصوص القرآنية:

---

(١) قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام صـ٣٣ وما بعدها د.توفيق الطويل .ط الزهراء للإعلام العربى- القاهرة - ط٢ ١٩٩١م.

(٢) سورة النساء من الآية ١٥٧.

١- أنها رسالة توحيد مطلق وتنزيه حيث دعت إلى عبادة الله الواحد، وتنزيهه عن المعايب والنقائص، وأكد لهم عيسى أنه بشر رسول، أرسله ربه ولم يأت من تلقاء نفسه، ليبلغ الناس ما أوحاه الله إليه، فقال لهم كما ورد فى إنجيل يوحنا: "وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله.. لأنى لم آت من نفسى بل ذاك أرسلنى"[١] وهذا ما يؤكده القرآن الكريم فى قوله تعالى:" وقال المسيح يابنى اسرائيل أعبدوا الله ربى وربكم"[٢] وقوله وتعالى:" ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلق من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام.[٣]

٢- أن رسالته خاصة إلى بنى إسرائيل، ولم يكن رسالة عامة لكل البشر[٤] وقد ورد فى الأناجيل ما يؤيد هذا القول؛ ففى أنجيل متى أن عيسى حينما حدد الحواريين الإثنى عشر أوصاهم قائلاً:" إلى طريق أمم لاتمضوا، وإلى مدينة للسامريين لاتدخلوا، بل أذهبوا بالحرى إلى خراف بنى إسرائيل الضالة"[٥] وهذا ما أيده القرآن الكريم حيث خصص رسالة عيسى ببنى إسرائيل فقال حكاية عنه:" ورسولاً إلى بنى إسرائيل".[٦]

---

(١) إنجيل يوحنا الاصحاح ٨:٤٠-٤٢.

(٢) سورة المائدة من الآية ٧٢.

(٣) نفس السورة من الآية ٧٥.

(٤) وسوف نرى كيف صرف بولس هذه الحقيقة واستبدلها بأكذوبة عالمية رسالة المسيح(المسيحية).

(٥) إنجيل متى ١٠:٥-٦.

(٦) سورة آل عمران من الآية ٤٩.

كما يؤيد هذا الإتجاه بعض كتّاب الغرب المسيحين، حيث جاء فى دائرة المعارف البريطانية... " أن أسبق حواريين المسيح ظلوا يوجهون اهتمامهم إلى جعل المسيحية ديناً لليهود، وجعل المسيح أحد أنبياء بنى إسرائيل إلى بنى إسرائيل". (١)

٣- أن رسالة عيسى كانت عقيدة الشريعة، بمعنى أنه جاء لتصحيح مفاهيم العقيدة عند اليهود، ولم يأت بشريعة جديدة، بل أمرهم باتباع تعاليم التوراة فى المسائل التشريعية، ولذلك يلاحظ أن الأناحيل الأربعة هى عبارة عن أمور عقدية ووصايا أخلاقية، ولاتجد فيها نظاماً اجتماعاً متكاملاً كنظرية اجتماعية صالحة لتطبيق، ولا نظاماً اقتصادياً ناجحاً، ولاتجد نظاماً سياسياً يمكن الاعتماد عليه فى الأنظمة المختلفة ويمكن تطبيقه بدلاً من القوانين الوضعية.(٢)

فكان ذلك مبرراً لقيام النظام العلمانى فى أوروبا، وفصل الدين من شئون الحياة، وانحصار مهمة الدين فى الكنائس فقط. فما هو إلا أفيون الشعوب أو مخدر الشعوب.

هذه هى أهم خصائص رسالة عيسى عليه السلام كما نزلت من السماء، ولكن للأسف لم تستمر على هذا النحو وإنما حرفت وتغيرت معالمها ودخلت فيها عقائد فاسدة وادعاءات بعيدة كل البعد عما جاء به عيسى من ربه.

وهذا ما سنوضحه فى المبحث الأول " تطور المسيحية بعد المسيح".

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ٦٣٢/٥ نقلاً عن المسيحية صـ٦٢ د.أحمد شلبى، مرجع سابق.

(٢) مشكلات العقيدة النصرانية صـ٤٩ د. سعد الدين صالح. دار الأرقم للطباعة والنشر الزقازيق - مصر ط٣ ١٩٩٢م.

المبحث الأول

تطور المسيحية بعد المسيح:

بعد أن رفع عيسى عليه السلام إلى الرفيق الأعلى ترك أتباعاً مخلصين ساروا على هدية وواصلو التبشير بدعوته، إلا أن هذا الحال لم يستمر طويلاً حيث أستُغلت شخصية المسيح أسوأ إستغلال حيث أحتلت مكان الصدارة فى دين جديد أخذ يمتد وينتشر على يد لبعض المنحرفين وهو رجل يهودى يدعى بولس [1]اعتنق المسيحية بعد أن كان معادياً لها وأتجه بهذا الدين اتجاهاً آخر انتهى بتميزه التام بل وعداؤه الواضح للدين الذى أتى به عيسى عليه السلام نفسه داعياً إليه.

ولذلك يرى الباحثون الغربيون أن المسيحية الحالية بهذه العناصر الجديدة هى من صنع هذا الرجل، ويقول عنه (بيرى):
"إنه هو فى الحقيقة مؤسس المسيحية، ويقول عنه (ويلز):" إن كثيراً من الثقات العصريين يعدونه المؤسس الحقيقى للمسيحية".[2]

ويبدو أن بولس حينما أراد أن يدمر المسيحية جعل الوسيلة إلى ذلك هى تحطيم المعتقدات الأساسية التى جاء بها عيسى عليه السلام ولذلك أدعى أنه بنى جديد وأن المسيح -بعد رفعه إلى السماء- قد ظهر له وصاح فيه وهو فى طريقة إلى دمشق قائلاً:

---

(١) هو شاؤل اليهودى، الذى سمى فيما بعد بولس يقول عن نفسه..(أنا يهودى فريس على رجاء قيامة الأموات) أعمال الرسل ٦/٢٣ ويقول فى بعض رسائله :(سمعتم بسيرتى قبلاً فى الديانة اليهودية، أنى كنت أضطهد كنيسة الله بافراط وأتلفها، وكنت أتقدم فى الديانة اليهودية على كثير من أترابى فى جنسى ، رسالة إلى أهل غلاطية ١:١٣-١٤.

(٢) راجع المسيحية صـ١٠٤ د.أحمد شلبى مرجع سابق.

"شاؤل شاءول لماذا تضطهدنى؟ فقال من أنت ياسيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذى تضطهده .. فقال وهو مرتعد ومتحيز: يارب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قم وادخل المدينة، فيقال لك ما ينبغى أن تفعل، وللوقت جعل يكرر (يبشر) فى المجامع بالمسيح: أن هذا هو ابن الله".[1]

فدخل (بولس) اليهودى المسيحية وأصبح معلماً لها، ويقول هو فى دخوله المسيحية.. (وأعرفكم أيها الأخوة الأنجيل الذى بشرت به أنه ليس بحب إنسان لأنى لم أقبله من عند إنسان ولاعلمته (بل بإعلان يسوع المسيح) [2]وهكذا وضع بولس لنفسه سياجاً يحتمى به لأنه كان يعلم أن الحواريين سوف يعارضونه فى عقائد النبوة والصلب والتثليث والتأليه التى كان يهدف إلى نشرها، ولذلك بادر بقطع الطريق عليهم حين أعلن أنه رسول جديد وأن معتقداته ليست من تلقاء نفسه ولكنه تلقاها من عيسى مباشرة وأنه الوحيد الذى أوتمن على المسيحية الصحيحة.

وقد أدخل بولس على الديانة المسيحية بعض تعاليم اليهود ليجذب له العامة من اليهود، كما أدخل صوراً من فلسفة الإغريق ليجذب أتباعاً له من اليونان، فبدأ يذيع أن عيسى منقذ ومخلص وسيد إستطاع الجنس البشرى بواسطته أن ينال النجاة.[3]

ومن هنا إتجه بولس بالمسيحية إتجاهاً آخر نحو العالمية بعد أن كانت خاصة باليهود وحدهم.

وقد كان هذا التوجه بالمسيحية نحو العالمية نقطة التحول فى تاريخ هذه الديانة، ولأجل فتح الباب لها أمام جميع العناصر قال (بولس) بالتثليث وبنزول عيسى من السماء وأنه تجسد فى صورة البشر

---

(١) أعمال الرسل ٩:٣-٧،٢٠.

(٢) رسالة إلى أهل علاطيه ١:١١-١٢.

(٣) المسيحية صـ١٠٩ د. أحمد شلبى. مرجع سابق.

وأكل وشرب ومات على الصليب من آجل خطايا البشر، وبعدم ضرورة الختان وغير ذلك من العقائد والشعائر التى لها صلة بديانات وثقافات الأمم الرومانية واليونانية وأمم الشرق الأسيوى القديمة التى كانت نعتقد اعتقادات قريبة من ذلك.

ولا يخفى ما فى هذه الصورة الجديدة التى رسمها بولس للمسيحية من إنحراف تام عن العقيدة التى جاء بها المسيح عليه السلام، الأمر الذى حمل كثيراً من الحواريين بل المثقفين المسيحيين إلى رفض أفكارة.

حدث بينه وبينهم خلافات كبيرة لدرجة أنه حكم عليهم بالكفر، فانفضوا عنه وتركوه مع هذه الأفكار الوثنية، أما الطبقة الحاكمة فقد كانت ميولها فى جانب بولس وأتباعه لأن ما جاء به من عقائد جديدة فى المسيحية لم تكن غريبة على العقائد الرومانية الوثنية.

ومع مطلع القرن الرابع الميلادى فى عهد "قسطنطين" برزت هذه الميول وأصبحت تأييداً صريحاً لاتجاهات "بولس" وإلزاماً للناس باتباعها حيث وجد "قسطنطين" ضالته المنشودة وذلك حينما أدعى بولس عالمية الديانة المسيحية وقسطنطين يهدف إلى بناء دولة عالمية كبرى، لذلك تسامح مع مسيحية بولس، وحاول أن يقضى على الخلافات المذهبية بينها وبين المسيحية الحقيقية، لأنه كان يخشى على ملكه من التفرق والتمزق فدعا إلى عقد مؤتمر "نقيه" عام٣٢٥م فحضره جمع كبير من رجال المسيحية وكان جمهور الحاضرين على عقيدة التوحيد وكان معهم إنجيل عيسى الذى يعضد آراءهم، ولكن حاشية الامبراطور التى كانت لاتعرف من تراث عيسى إلاما نادى به بولس آثارت حفيظة الامبراطور مما دعاه إلى التدخل فى فاعليات المؤتمر وتأييد مذهب كاهن روما البولس (اثنا سيوس) كما أصدر أمراً بإخراج الموحدين وقتل زعيمهم (آريوس) وبتدمير كل الوثائق التى تخالف مذهب بولس.

ولذلك بدأت المسيحية الحقيقية فى الاختفاء، وأختفت الإناجيل الصحيحة لأنها أصبحت معارضة للمذهب الرسمى للدولة.(١)

وكان فى ضياع إنجيل عيسى عليه السلام فى زحمة الاحداث ضياع للمبادئ التى تحمى المسيحية الحقيقية وتمنع سقوطها بيد أعدائها كما حصل فعلاً، إذ هوت مسيحية عيسى وقامت على أنقاضها مسيحية بولس.

تلك المسيحية التى يدين لها ويعتقدها المسيحيون الآن والتى يمكن أن نركز عقائدها التى ابتدعها بولس فى النقاط التالية:

١- أن المسيحية ليست دينا لليهود فقط بل هى دين عالمى.

٢- قضية التثليث والزعم بأن الإله يتركب من ثلاثة أقانيم: الأب، والأبن والروح القدس.

٣- كون عيسى ابن الله ونزوله ليضحى بنفسه تكفيراً عن خطيئة البشر.

٤- قيامة عيسى من الأموات وصعوده ليجلس على يمين أبيه كما كان ومما لاشك فيه أن عيسى لم يقل بشئ من ذلك، وإنما هو تحريف من بولس نفسه حتى يتمكن من ادخال العقيدة المسيحية إلى عقول الشعوب الوثنية من اليونان والرومان والمصريين القدماء بوبإختلاط المسيحية بالعقائد الوثنية أدى ذلك إلى ضياع المسيحية الحقيقية، وقيام ديانه مشوهة تتميز بالعداء الواضح للدين الذى أتى به عيسى عليه السلام.

---

(١) جدير بالذكر أن الامبراطور قسطنطين لم يعتنق المسيحية رسمياً ولم يسمح بتعميده إلا وهو على فراش الموت سنة ٣٣٧م فإنه بذل كل ما لديه من سلطة ونفوذ فى خدمة الديانة التى حققت له انتصارات (دنيوية .... ولاستغلال الدين فى أمور السياسة أصدر عمله ضربت على وجه منها علامة الصليب وعلى الوجه الآخر شعار عبادة الشمس ولم يكن يعاقب أحداً على تقديم القرابين للإله (جوبتر) ولم يستبعد الشعائر الوثنية من الاحتفالات الرسمية. تاريخ أوربا ط/٨ نقلاً عن مشكلات العقيدة النصرانية صـ٦٠ د.سعد الدين صالح.

وقد ساعد على نشر أفكار بولس وعقائده بين الناس واعتناق المسيحيين لها عاملان:

الأول : عامل نفسى يتصل ببولس نفسه، حيث أعلن اعتناق المسيحية بعد أن كان من ألد أعدائها والمعارضين لها فكان لهذا رد فعل آطرب المسيحيين، وأنعش آمال المضطهدين منهم، فى انتصار دعوتهم وخلاصهم.

وهذا العامل النفسى الذى تمتع به بولس من دهاء وحدة الذكاء، وادعاء بولس عالمية المسيحية- الذى لاقى قبولاً عند الامبراطور الرومانى "قسطنطين" ساعد كل ذلك إلى حد كبير على قبول أفكاره وإنتشار دعوته.

والثانى: هو الاضطهادات التى واجهها المسيحيون والتى أدت إلى القضاء على المصادر المسيحية الأصلية، بل والقضاء على المسيحيين الحقيقيين عقب رفع عيسى عليه السلام واستمرار هذا الاضطهاد بعنف على يد اليهود وأباطرة الرومان جعل الناس يصدقون الخرافات التى تنعش آمالهم، وتشد من عزائمهم، ويتقبلون العذاب والموت أسوة بابن الله -كما يزعمون- الذى صلب وقتل فداءً للبشرية جمعاء.

تعقيب :

وهكذا فإن النظر إلى المسيحية من حيث نشأتها ومن حيث تطورها، وما أنتهت إليه يجعلنا أمام صورتين مختلفتين فى كل شئ اللهم إلا فى الرابط بينهما وهو شخصية عيسى عليه السلام تلك الشخصية التى استغلت أسوأ استغلال فى التاريخ، فمسيح الأمس بشر رسول مبلغ عن ربه ما أوحاه إليه، ومسيح اليوم إله أو ابن إله يشرع ويقنن ويحرم ويحلل، مسيح أمس عبد مخلوق لا يملك من أمره شيئاً، مسيح اليوم خالق السماوات والأرض يفصل بين الخلائق الى غير ذلك من الفوارق التى لو أخذنا فى إحصائها لن نستطيع إلا إذا استطعنا إحصاء الفوارق بين المخلوق والخالق أو بين الإنسان والإله وتلك الفوارق بعينها هى محتوى التراث المسيحى كله، وما عداه من ذلك التراث فليس إلا نضحاً وإفرازاً للتحليل أو الجدل فى تلك الفوارق.

فما هو إلا حصيلة جدل مستمر وتبرير وتعليل وتفسير عن علاقة اللاهوت والناسوت فى شخصية عيسى عليه السلام، ومن هنا كانت المسيحية هى أكثر الأديان الثلاثة كلاماً وجدلاً ودوراناً حول قضية واحدة لاتكف ولن تكف عنها، لأن حياتها فى هذا الجدل والدوران الذى لو توقف لتوقفت معه حياتها، واقتلعت من جذورها.

وبهذا يتبين لنا أن المسيحية قد انحرفت عن المنهج الإلهى الحق الذى جاء به عيسى عليه السلام. من عند ربه، وأنها تأثرت بل تلونت بألوان الثقافات المختلفة للأمم التى دخلت فيها، وقد نتج عن هذا التلون ظهور عدة مشكلات عقدية فاسدة لم تكن محل اتفاق بين سائر فرق النصارى، حيث إن تطور الفكر الكنسى أدى إلى ظهور فرق ومذاهب متعددة تكاد تكون متباينة.

وهذا ما سنوضحه فى حديثنا عن ظاهرة التفرق فى الديانة المسيحية منذ عصر التوحيد إلى عصر التثليث.

المبحث الثانى

ظاهرة التفرق فى الديانة المسيحية:

بينا فيما سبق أن الديانة المسيحية قد مرت بأطوار عديدة خاصة فى مجال العقيدة، فتعددت فرقهم تبعاً لتطور اعتقاداتهم وما طرأ عليها من تحريف وتبديل... واختلاف حول طبيعة المسيح عليه السلام، فإندثر منها ما اندثر وباد منها من باد حتى وصلت إلى شكلها الحالى.

ولما كانت المجامع الكنسية هى فى الواقع الواضح الحقيقى للدين المسيحى فى صورته الراهنة، والذى يختلف كلية عما أتى به صاحبه عيسى عليه السلام، ولما كان مجمع "نيقية" الذى عقد سنة ٣٢٥م هو أول مجمع وضع أسس العقيدة المسيحية فسنجعل من هذا التاريخ فاصلاً بين عصرين فى تاريخ الفرق المسيحية القديمة:

فرق كانت قبل هذا التاريخ أو خرجت عليه، لكنها حوربت وضرب على أيد أصحابها حتى الموت؛ لأنها قالت فى المسيح عليه السلام كلمة حق؛ ويعرف عصرهم بعصر التوحيد.

وفرق جاءت بعد إنعقاد مجمع "نيقية" وهم الذين قرورا ألوهية المسيح عليه السلام، فعرف عصرهم بعصر تأليه المسيح، حيث استطاع أباطرة الرومان أن يطمسوا نور التوحيد فى وسط المسيحيين ويمنعوا الموحدين من نشر دعايتهم.[1]

---

(١) الرد على النصارى، ضمن ثلاث رسائل لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ صـ٢٠، نشر يوشع فنكل -طبعة القاهرة ط٢،١٣٨٢هـ.

أولاً: الفرق التى ظهرت فى عصر التوحيد:

وكان من أهمها:

١- أصحاب آريوس:

وقد كان "آريوس" قسيساً بالإسكندرية فى زمن "قسطنطين الأول"، وكان "آريوس" يذهب إلى القول بالتوحيد المجرد، وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق، وأنه كلمة الله تعالى التى بها خلق السموات والأرض.(١)

وزعم "آريوس" أن المسيح أبتدأ جوهراً لطيفاً روحانياً خالصاً غير مركب ولا ممزوج بشئ من الطبائع، وإنما تدرع بالطبائع الأربع عند الإتحاد بالجسم المأخوذ من مريم.(٢)

٢- أصحاب بولس الشمشاطى:

كان بطريركاً بأنطاكية قبل ظهور المسيحية ثم إعتنق المسيحية،وكان يقول بالتوحيد المجرد الصحيح وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام، خلقه الله فى بطن مريم بدون ذكر، وأنه إنسان لا إلهية فيه ألبتة، وكان يقول لا أدرى ما الكلمة ولا الروح القدس.(٣)ومن هذا يتبين أن بولس كان يعتنق القول بالتوحيد الخالص وأن عيسى ليس إلا عبد الله ورسوله ويقول ابن البطريق فى بيان مذهب بولس الشمشاطى أن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا فى جوهره، وأن ابتداء الابن من مريم، وأنه اصطفى ليكون مخلصاً للجوهر الإنس، صحبته النعمة الإلهية، وحلت فيه المحبه، والمشيئة، ولذلك سمى ابن الله، ويقول إن الله جوهر واحد واقنوم واحد،

---

(١) الفصل فى الملل والنحل جـ١/١٠٩ لابن حزم، تحقيق د.محمد إبراهيم نصر، د.عبد الرحمن عميرة، ط دار الجيل، بيروت، لبنان.(د.ت)

(٢) الملل والنحل جـ٢/٥٦ للشهرستانى بهامش الفصل، مكتبة السلام العالمية(د.ت).

(٣) الفصل فى الملل والنحل جـ١/١٠٩،١١٠ مرجع سابق.

يسمى بثلاثة أسماء، ولا يؤمن بالكلمة ولا بروح القدس وهى مقالة بولس الشمشاطى بطريرك إنطاكية"[1] وهكذا يتفق ما قاله ابن البطريق المسيحى المثلث فى حديثه عن بولس الموحد مع ماأورده ابن حزم من إعتناق بولس عقيدة التوحيد.

٣- أصحاب مقدونيوس:

الذى كان بطريركاً فى القسطنطنية وجد أيام "قسطنطين الثانى" ويذهب إلى أن عيسى عبد مخلوق، إنسان نبى كسائرالأنبياء أرسله الله لهداية بنى إسرائيل، وهو روح القدس وكلمة الله، والروح والكلمة مخلوقان لله.[2]

وعلى كل حال فإن هذه الفرق ومن كان على شاكلتها من التوحيد الخالص والاعتقاد الصحيح فى عيسى عليه السلام، قد بادواندثر، ومن يؤمن بمثل قولهم لا يعد اليوم من المسيحيين.

وقد كان من المعاصرين لهؤلاء الموحدين كثيرون دخلوا الديانة المسيحية وعندهم بقايا من العقائد الوثنية ففهموا المسيحية فى ضوئها، من هؤلاء فرقة تسمى " البربرانية".

يذهبون إلى أن عيسى وأمه إلهان من دون الله عز وجل، ويعلق فضيلة الشيخ "محمد أبو زهرة" على هذه الفرقة بقوله: ولعل هؤلاء الذين ذكرهم الله تعالت كلماته فى قوله تعالى:" وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس إتخذونى وأمى إلهين من دون الله، قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق".... إلى قوله تعالى :" ما قلت لهم إلا ما

(١) محاضرات النصرانية صـ١٥١ للشيخ محمد أبو زهرة مرجع سابق.

(٢) الفصل جـ١/١١٠ . مرجع سابق.

أمرتنى به أن أعبدوا الله ربى وربكم"[1]ولعل فريقاً منهم كان موجوداً عند نزول القرآن الكريم.[2]

ومنهم أتباع "مرقون" الذين يقولون إن هناك آلهة ثلاثة صالح، وطالح، وعدل، ولعل هذه النحلة من آثار الثنوية من المجوس الذين يقولون بأن العالم له إلهان؛ إله الخير وإله الشر.

إلى غير ذلك من الأقوال التى اختلطت بالاعتقادات الوثنية فى الله تعالى، وقد كانت هذه الأقوال نقطة سوداء فى وسط المسيحية الحقيقية فى عصر التوحيد، ولقد كان من الممكن أن تزول تلك الاعتقادات العارضة، ويبقى الأصل سليماً نقياً شريطة أن يكون ثمة كتاب محفوظ لايعتريه الشك من أى جانب ولا يتطرق إليه الظن والاحتمال ليكون ميزاناً للحق والباطل، وليكون مقياساً تقاس به الآراء، ومرجعاً يرجع إليه المختلفون.[3]

غير أن المسيحيين قد نزلت بهم الويلات باضطهاد اليهود والرومان لهم فأدى ذلك إلى مصادرة بعض كتبهم وتحريف البعض الآخر، مما جعل مصادر الديانة المسيحية يعتريها الريب والشك وإنقطاع السند- كما سبق وأشرت- ولأن جمهور المسيحيين بالغوا فى تقديس المسيح عليه السلام، فأنتقل بهم الدعاة من التقديس المعقول إلى الغلو المرزول، حتى رفعوه إلى مرتبة الألوهية، فأدى كل ذلك إلى ضياع التوحيد، وإحلال التثليث بدلاً منه.

---

(١) سورة المائدة الآيتان ١١٦،١١٧.

(٢) محاضرات فى النصرانية صـ١٥٣ مرجع سابق.

(٣) الفكر الإسلامى فى الرد على النصارى صـ٣٠٤ عبد المجيد الشرفى.مرجع سابق.

وخاصة بعد انعقاد مؤتمر "نيقية" سنة٣٢٥م حيث أبعد التوحيد رسمياً وقرر ألوهية المسيح، واستخدمت كل أساليب القهر والاضطهاد من قبل الحكام وأصحاب هذه الدعوة، فأخذوا يبعدون الموحدين عن مكان الرياسة فى الكنائس، وحيل بين العامة وبين سماع صوت الحق، وارتفع صوت الباطل الذى أحدثه "بولس" فى المسيحية، والذى يقرر ألوهية المسيح.

ولم يكن إدعاء ألوهية المسيح عملاً هيناً، بل كان عملاً صعباً، سبب كثيراً من الاختلافات والاضطرابات، لا بين من قالوا به ومن أنكروه فحسب؛ بل بين الجماعات التى اتفقت على المبدأ واعتنقته، ثم عادت تفكر فيه، وعلى هذا أوجدت المشكلة مجالاً للتفريق بينهم، وكان مصدر الاختلافات بين هؤلاء هو التفكير فى تفسير طبيعة المسيح-عليه السلام- للتوفيق بين الألوهية التى صدر بها قراراً وأصبحت بموجبه اعتقاداً ملزماً، وبين الواقع المعايش والملحوظ للعامة والخاصة وهو أن عيسى بن مريم عليه السلام كان يعيش على الأرض ويأكل ويشرب مما يأكلون ويشربون...إلخ مما يفعله الناس فى حياتهم اليومية.

لذلك نرى أن المسيحيين قد اتخذوا المجامع المسكونية وغيرها وسيلة للحديث عن طبيعة المسيح الناسوتية واللاهوتية-هل هو من الطبيعتين أو هو طبيعة واحدة-؟ كما اتخذوا هذه المجامع من قبل وسيلة لإثبات ألوهية المسيح، وألوهية الروح القدس، والقول بالتثليث (الآب،الابن،الروح القدس).

والآن ننتقل إلى الحديث عن المجامع الكنسية ودورها فى نشوء الفرق المسيحية الثلاث الكبرى "اليعقوبية والنسطورية والمكية".

ثانياً: المجامع[1] الكنيسة ونشوء الفرق المسيحية الكبرى:(الكنائية، النسطورية، اليعقوبية).

ويزيد من خلال حديثنا عن هذه المجامع أن نتبين الأدوار التى مرت بها العقيدة المسيحية، فبعد أن دنس "بولس" الديانة المسيحية وحرفها وبدلها من عقيدة التوحيد وعبادة الله الواحد إلى عقيدة التثليث، فمن البدهى أن التثليث. بالشكل الذى يعتقده جماهير المسيحيين أو غالبيتهم - لم يعلن للناس دفعة واحدة، بل فى أزمنة مختلفة، وفى ظروف معينة، فكان كل مجمع يعقد يقرر رأياً معيناً، وسوف نركز فى حديثنا عن هذه المجامع على ما يختص بالعقيدة المسيحية.

وكانت أبرز القضايا التى نوقشت فى هذه المجامع مادار حول شخصية المسيح عليه السلام من تساؤلات :هل هو بشر رسول؟ من غير أن تكون له منزلة أخرى، أو له بالله صلة خاصة وأن الله تعالى خلقه بدون أب؟ هل هو ابن الله؟ أو هو إله؟ وما هى طبيعة هذا الإله؟ هل له طبيعة واحدة أو طبيعتين؟ له مشيئة واحدة أو مشيئتين؟ وما هو الروح القدس؟ هل هو إله أو روح مخلوق وليس بإله؟ وهل مريم أم لعيسى الإنسان أو الإله؟ أو أم للإثنين معاً؟... إلخ.

---

(١) المجامع فى المسيحية، هى جماعات شورية فى المسيحية رسم رسلهم نظامها فى حياتهم ويسمى المسعودى المجامع الكنسية باسم "السنودسات" جمع " سنودس" أو "السنهودسات" جمع "سنهودس" ويعرف السنهودس بأنه القداس. / التنبيه والإشراف من صـ١٢٢-١٣٦، عبد الله إسماعيل الصاوى، ط١ القاهرة ١٩٣٨م، ومروج الذهب جـ٣٥١/١ ت يوسف أسعد داغر بيروت ١٩٧٣م.
ويقسم المجامع صاحب كتاب سوسنة سليمان إلى ثلاثة أقسام هى:

١- مجامع عامة ويقال لها مسكونية أى تجمع رجال الكنائس فى كل أنحاء المعمورة.

٢- مجامع ملية، أى خاصة بطائفة دون غيرها.

٣- مجامع إقليمية، أى خاصة باقليم مخصوص، وسوف نركز على المجامع العامة، سواء صدقَ عليها الجميع أو أنكرها بعضهم، لما فى ذلك من معرفة النتائج التى تولدت عن هذه المجامع. محاضرات فى النصرانية صـ١٢١.

وقد طرحت هذه التساؤلات فى مجامع كنسية متعددة، إلا أن رجال الدين المسيحى لم يتفقوا على رأى، وحتى حينما تدخلت السياسة فى بعض المجامع لحمل الناس على الاتفاق على رأى واحد وتخرج بقانون موحد لإعتقاده والإيمان به، إلا أن هذه القوانين وهذه الآراء كانت تتغير تبعاً لإتجاهات الحكام والساسة الدائمة التغير فى الدولة الرومانية، فكثيراً ما أبطلت مجامع لاحقة مقررات مجامع سابقة وإتخذت قرارات مخالفة تماماً لما تم الإتفاق عليه من قبل، وسوف يتضح لنا ذلك بالحديث عن أهم تلك المجامع التى قننت المسيحية وأعطتها شرعيتها الدينية من حيث كتبها وطقوسها وعقائدها وشعائرها، والتى كان لها دوراً أساسياً فى نشوء الفرق المسيحية:

ولقد كان من أهم هذه المجامع وأبعدها أثراً وأكبرها شأناً هو "مجمع نيقية" الذى عقد فى مدينة نيقية سنة ٣٢٥م، وكان عدد المجتمعين فيه ٢٠٤٨ عضواً يمثلون الكنائس ورجال الدين فى شتى أنحاء الامبراطورية الرومانية.

حيث جاءوا لمناقشة الاعتقادات والآراء المختلفة فى طبيعة المسيح عليه السلام، وخصوصاً ما أعلنه "أريوس" المصرى، من أن طبيعة الابن المخلوق تخالف طبيعة الأب الخالق؛ حيث كان يقول:" إن الأب وحده الله، والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الأب إذ لم يكن الابن"(١).

فما لبث أن انقسم المجمع على نفسه بين مؤيد ومعارض لمقالة "آريوس" ولم يستطع التوصل إلى قرار موحد فى طبيعة المسيح، فقرر الامبراطور قسطنطين أن يفرض بنفسه عقيدة التثليث التى يؤمن بها،

(١) محاضرات النصرانية صـ١٢٣ مرجع سابق.

وفى سبيل ذلك عمل إلى قتل "آريوس" وكثير من مؤيديه داخل المجمع ونفى الباقين، ثم دعا إلى مؤتمر آخر فى نفس المكان وفى نفس العام لم يحضره إلا القائلون بالتثليث وألوهية المسيح وكان عددهم ٣١٨ عضواً.(١)

ويحدثنا صاحب كتاب تاريخ الأمة القبطية عن العقيدة التى قررها هذا المجمع وفرضها على المسيحيين فقال مانصه:" إن الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجوداً فيه، وأنه لم يوجد قبل أن يولد، وأنه وجد من لاشئ، أو من يقول إن الابن وجد من مادة أو جوهر غير الله الأب، وكل من يؤمن أنه خلق، أو من يقول إنه قابل للتغيير"(٢)

ولكن هذا القرار لم يقض على فكرة الوحدانية، بل ربما كانت المحاولة للقضاء عليها سبباً فى شدة التمسك بها والمحافظة عليها، لأن الآراء لاتنتصر بكثرة القائلين بها بل بقوة الدليل وعمق الاعتقاد، وقوة الاقتناع بها، واستساغة العقل لها، ولذلك احتال البطارقة الذين لعنوا فى هذا المجمع للإحتفاظ بعقيدتهم واتخذوا الخديعة سبيلاً لذلك حيث تقربوا من الامبراطور وأظهروا له الاقلاع عما كانوا عليه من الاعتقاد، ليعودوا إلى ما كان لهم من مناصب، ولينالوا ثقة قسطنطين، يناصروا فكرتهم.

ثم عقد بعد ذلك المجمع القسطنطينى الأول سنة ٣٨١م على يد الامبراطور "تاؤديوس" حيث إن مجمع "نيقية" وإن كان قد قرر أن المسيح إله، وأنه ابن الأب، وأنه جوهر قديم من جوهر الأب، فإنه لم يتعرض للروح القدس أهو إله أو روح مخلوق وليس بإله؟ مما كان سبباً فى عقد هذا المجمع لبحث هذه المسألة وقد قرر هذا المجمع فيما نقله ابن البطريق

---

(١) الملل والنحل جـ٢/صـ٥٢ للشهرستانى بهامن الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم، مرجع سابق.

(٢) نقلاً عن محاضرات فى النصرانية صـ١٢٦ مرجع سابق.

عنه بنصه "قال ثيموثاوس بطريق الإسكندرية وليس روح الله شيئاً غير حياته، فإذا قلنا إن روح القدس مخلوق فقد قلنا إن حياته مخلوقة وإذا قلنا إن حياته مخلوقة، فقد زعمنا أنه غير حى، وإذا زعمنا أنه غير حى فقد كفرنا به، ومن كفر به وجب عليه اللعن"(١)

وبهذا يكون قد تقرر ألوهية الروح القدس أيضاً، وفى المجمع السابق تقرر ألوهية المسيح، وبذلك يكون قد تقرر التثليث، وتمت أقانيمه الثلاثة (الأب والابن والروح القدس) فى هذا المجمع.

ولكن بقى تساؤلاً آخر حول طبيعة المسيح عليه السلام من حيث كونها طبيعة إنسانية إلهية فكيف تجتمعان؟

وإجابة على هذا السؤال نرى أن "نسطور" بطريرك القسطنطينية يقرر أن هناك أقنوماً وطبيعة، فاقنوم الألوهية من الأب، وتنسب إليه، وطبيعة الإنسان وقد ولدت من مريم، فمريم أم الإنسان وليست أم الإله، فالنسطوريون ينكرون ألوهية المسيح حيث يرون أنه إنسان مملوء من البركة والنعمة، وهو ملهم من الله، ولكنهم يعتقدون أن المسيح فوق الناس وليس مثلهم.

فلما بلغت مقالة نسطور "البابا كيرلس" بطريرك الإسكندرية راسل أساقفة انطاكية، ورومة وبيت المقدس، وانعقد مجمع "أفسس الأول" بمدينة أفسس سنة ٤٣١م وحضره نحو مائتين من الأساقفة وقرورا فيه ما نصه: " إن مريم العذراء والدة الله وأن المسيح إله حق وإنسان معروف بطبيعتين متوحد فى الأقنوم "(٢) ولقد لعنوا نسطور وتبرأوا منه، ولكن نسطور لم يخضع لهذا القرار ... فنفى إلى مصر، ولم يندرس مذهبه بل انتشر بعد ذلك فى بلاد الشام والعراق...

---

(١) المرجع السابق صـ١٣٣.

(٢) الرد على النصارى صـ٣٠ للقاسم بن إبراهيم الحسينى، نشرة T.D.Matta فى Rso ١٩٢١م.

ولكن هذا المجمع لم يحسم الخلاف فى مسألة اجتماع العنصر الإلهى والعنصر الإنسانى فى المسيح عليه السلام، وإن كان قد انتهى إلى قرار :" أن مريم القديسة العذراء ولدت إلهنا ربنا يسوع المسيح الذى هو مع أبيه فى الطبيعة الإلهية ومع الناس فى الطبيعة الإنسانية، فالمسيح له طبيعتان وأقنوم واحد ووجه واحد".(١)

وبهذا يتضح لنا الانشقاق الذى بين المسيحية القائلة بالتثليث، فهذا المجمع يقرر أن المسيح له طبيعتان إحداهما إنسانية يشاركه فيها الناس والأخرى إلهية ينفرد بها عن الناس، وأقنوم الابن مكون من الطبيعتين (الإلهية والإنسانية) وهو بذلك يخالف "النسطوريين"(٢) أتباع نسطور بطريرك القسطنطنية القائلين بأن أقنوم الابن لم يكن من العنصرين بل من العنصر الإنسانى وحده.

ويخالف أيضاً ما اتخذ من قرار بعد ذلك فى مجمع "أفسس الثانى" الذى دعت إليه كنيسة الإسكندرية والذى يقضى بأن للمسيح طبيعة واحدة اجتمع فيها اللاهوت والناسوت. وهذا القرار هو الذى ذهبت إليه وتمسكت به وعملت على إنتشاره "اليعقوبية".(٣)

لكن هذا القرار الذى اتخذته كنيسة الإسكندرية لم يرض جميع الأطراف، وأطلقت عليه الكنيسة الكاثوليكية مجمع اللصوص، وعارضه بطريرك القسطنطنية، وأعلن إنسحابه، واشتد الخلاف حول هذا المجمع حتى عقد المجمع الرابع فى مدينة خليكدونية سنة ٤٥١م وحضره خمسمائة وعشرون من الأساقفة، وأيد قرارات مجمع أفسس الأول الذى يقرر أن للمسيح طبيعتين، ورفض قرار مجمع أفسس الثانى، القائل بأن للمسيح طبيعة واحدة.

---

(١) المرجع السابق نفس الصحفة.

(٢) سوف نعرف بهذه الفرقة فيما بعد.

(٣) موضوع البحث.

وقرر المجمع كما يقول ابن البطريق :

" إن مريم العذراء ولدت إلهنا، ربنا يسوع المسيح الذى هو مع أبيه فى الطبيعة الإلهية ومع الناس فى الطبيعة الإنسانية، وشهدوا أن المسيح له طبيعتان، وأقنوم واحد، ووجه واحد، ولعنوا "نسطورس" ولعنوا "ديسقورس" ومن يقول بمقالته، ولعنوا المجمع الثانى الذى كان بأفسيس وقد نفى "ديسقورس" إلى فلسطين.(١)

جدير بالذكر أن هذه العقيدة التى قررها مجمع "خلكيدونية" قد تبنتها طائفة "الملكانية" وأصبحت العقيدة الرسمية لهم.

ولكن لم يعترف المصريون بقرارات ذلك المجمع وثاروا على تعيين بطريرك على غير مذهبهم ومن غير جماعاتهم، وأصبحت علاقتهم بالرومان ليست على مايرام تسير أحيانا على نهج من الهوادة والرفق، وأحيانا كثيرة على شطط وعنف؛ فكان بعض الأباطرة يأخذهم بالعنف وبعضهم يأخذوهم بحسن السياسة ولطف الكياسة فترك لهم الحرية فى اختيار بطريرك لهم من مذهبهم، وظل أقباط مصر حتى الآن يرفضون قرارات ذلك المجمع، الذى كان سبباً فى انفصال الكنيسة المصرية عن الكنيسة الغربية.

وفى ذلك الوقت يظهر للمذهب المصرى داعية نشط قوى الشكيمة بليغ الأثر يعرف بـ " يعقوب البرادعى" مؤسس طائفة "اليعقوبية"، أخذ يدعو إلى اعتناق مذهب الكنيسة المصرية وسلك فى ذلك المخاطرة والجرأة وقد رسم لذلك ٨٩ أسقفاً وألوفا من الكهنة والقسوس.

---

(١) التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق جـ١/٨٥ لسعيد بن البطريق. طبعة بيروت ١٩٠٥-١٩٠٦.

ومن ذلك الوقت أطلق اسم "يعقوبيين" على كل من يذهب إلى أن للمسيح طبيعة واحدة.[1]

وبالنظر فى هذه المجامع الأربعة التى أشرت إليها وقصرت الحديث عليها دون غيرها من المجامع لأنها هى التى قررت العقيدة المسيحية الحاضرة، وفى نفس الوقت تخدم موضوع البحث نجد أن المجمع الأول (مجمع نيقية ٣٢٥م) جاء رداً على القائلين بالتوحيد المجرد وأن عيسى عبد مخلوق، فقرر المجمع ألوهية المسيح، وفى المجمع الثانى "القسطنطينى الأول ٣٨١م" تقرر القول بألوهية الروح القدس وبذلك ثم القول بالتثليث (الأب ، الابن، الروح القدس) ثلاثة آلهة، وفى المجمع الثالث " مجمع أفسس الأول ٤٣١م" تقرر أن للمسيح طبيعتان (إلهية وإنسانية)، ثم عقد فى نفس المكان والعام "مجمع أفسس الثانى" الذى قرر أن للمسيح طبيعة واحدة (الإلهية) وقد حرَّم هذا القرار فى المجمع الرابع "مجمع حلكيدونية ٤٥١" وأيد هذا المجمع قرار مجمع أفسس الأول الذى قرر أن للمسيح طبيعتين منفصلتين الطبيعة واحدة متحدة.

هذه هى أهم المجامع المسيحية التى كان لها بالغ الأثر فى توجيه العقيدة المسيحية إلى ما هى عليه الآن، أما المجامع التى عقدت بعد ذلك فليس فيها مجمع واحد أجمع عليه المسيحيون أنه مجمع مسكونى عام. كما يعبرون.

فكل هذه المجامع التى جاءت بعد مجمع "خلكدونيه" لم تمثل فيها الكنيسة المصرية بعد إنشقاقها عن كنيسة رومة، أو انشقاق كنيسة رومة عليها، وذلك بعد انعقاد مجمع أفسس الثانى، وكان ختام هذه المجامع

(١) والذين سموا فيما بعد بـ (السريان الارثوذكس) كما سنبين.

هو المجمع العشرون المنعقد فى رومة سنة ١٨٦٩م، وقد أثبتوا فيه العصمة للبابا.[١]

وهكذا ومنذ منتصف القرن الخامس الميلادى أصبحت المسيحية الشرقية تنقسم إلى ثلاث فرق كبرى:

" السناطرة " [٢] فى العراق وبلاد فارس بالخصوص من جهة، و"المونوفيزيين" الذين عرفوا فيما بعد " باليعقوبيين" أو " السريان اليعاقبة" نسبة إلىّ يعقوب البرادعى" أسقف الرها المتوفى سنة ٥٧٨م فى مصر والشام من جهة ثانية، و" الخلكدونيين" أو الملكية أتباع دين الملك أى الامبراطور البيزنطى المتفرقين فى الشرق الأدنى وآسيا الصغرى من جهة ثالثة.

ولم تجد محاولات السلطة الامبراطورية المتكررة شيئاً فى توحيد هذه الفرق التى انتظمت كل واحدة منها فى كنيسة منشقة عن الآخرين تبلورت حولها الاعتبارات القومية والاختلافات الثقافية، وتفاقم هذا الانشاق بمرور الأيام ولم تجد المحاولات العديدة للتقريب ولا السياسات المعتدلة التى سلكها بعض الأباطرة، ولا حتى الاضطهاد الذى سلطه بعض الأباطرة على مخالفيهم لم يُجد شئ من ذلك ولم يغير من الأمر شيئاً حتى جاء الإسلام وانتشر فى البلاد التى كانت تابعة لبيزنطة واستقبل اليعاقبة والنساطرة المسلمين كمحررين من طغيان الروم الكفار - فى نظرهم- رغم انتسابهم جميعاً للمسيحية.[٣]

---

(١) الرد على النصارى صـ٢٠ للجاحظ، مرجع سابق.

(٢) أو النسطورية أتباع "نسطور" أو "نسطورس" الذى كان بطريرك القسطنطنية سنة ٤٣١م. ويسمون اليوم الكلبران الأرثوذكس.

(٣) الفكر الإسلامى فى الرد على النصارى صـ٩٥ للشرفى. مرجع سابق.

وسوف نوجز الحديث عن نشأة هذه الفرق الثلاث ، وبصفة خاصة فرقة اليعقوبية موضوع البحث، ونبين أماكن انتشارهم وأهم عقائدهم:

أ- النسطورية:

تنسب هذه الفرقة إلى نسطور بطريرك القسطنطنية الذى مكث فى هذا المنصب أربع سنين وعدة أشهر وقد كان يرى أن مريم العذراء لم تلد إلهاً بل ولدت فقط الإنسان، وهو بذلك يرى أن الأقنوم الثانى وهو "الابن" لم يتجسد وتلده مريم كما يرى غيره من المثلثين، بل يرى أن مريم ولدت الإنسان فقط ثم اتحد ذلك الإنسان بعد ولادته بالأقنوم الثانى، وذلك الإتحاد ليس إتحاداً حقيقياً بل مجازياً، لأن الإله منحه المحبة، ووهبه النعمة فصار بمنزلة الابن.

وهذا التخريج بلا شك يؤدى إلى أن المسيح الذى خاطبهم وكلمهم وحوكم وعوقب فى زعمهم لم يكن فيه عنصر إلهى فقط فلم يكن إلهاً ولا ابن إله، وهذا الكلام يترتب عليه إنكار ألوهية المسيح عند نسطور.

وقد اعتبرت الكنيسة الرسمية فى الإسكندرية آراء نسطور وأصحابه خطرة على القانون النيقاوى، ومخالفة له، لذلك عقد مؤتمر "أفسس الأول سنة ٤٣١م". ولعنوا نسطور، واعتبروه هرطوقياً، وحرموه وعذلوه عن رتبته البطريركية ونفوه فصار إلى " أخميم" فى صعيد مصر إلى أن مات بها.

ورغم ذلك لم يمت مذهبه وأحياه فيما بعده بزمان "برصوما" مطران " نصيبين" فى عهد قباذ بن فيروز ملك فارس وتبتها فى الشرق وخاصة أهل فارس، ولذلك تكاثرت النسطورية فى الشرق " فى العراق والموصل والجزيرة" ولايزالإلى الآن لهم أتباع -كما يذكر ابن البطريق-[1] فى هذه الأماكن.

---

(١) التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ١/٥٠ لسعيد بن البطريق .مرجع سابق.

ويقول صاحب سوسنة سليمان فيما نقله عنه الشيخ أبو زهرة:" إن النسطوريين فى هذا العصر يسمون " الكلدان" يسكنون خاصة فيما بين النهرين، والبلاد المجاورة لهما ولهم تعاليم كثيرة مختصة بهم...وأنه لم يكن فى المسيح طبيعتان بل أقنومان، وكان يحسب هذا المتعقد فى الزمن القديم ضلالاً مبيناً، وأما فى هذا الزمان فيحسبه العلماء حتى الكاثوليك الرومان غلطاً لفظياً لامعنوياً" (١).

وهذا المعتقد يدل على أمرين:

أولهما: أن الكنيسة الرومانية تتساهل الآن فى معتقدات لم تكن تتساهل فيها من قبل.

ثانيهما: أن النسطورين " الكلدان" قد انحرفوا عن مبادئ نسطور، لأن نسطور لايرى أن الأقنوم الثانى مازج المسيح قط بل هو يرى أن بنوة المسيح بالموهبة والمحبة لا بالحقيقة، وهذا يدل على أن المسيح خال من العنصر الإلهى خلواً تاماً، وأن مريم والدة الإنسان فقط، بينما يرى غيره أنها والدة الإله والإنسان معاً، وهذا خلاف جوهرى فى الحقيقة والمعنى لافى الشكل واللفظ كما يرى علماء الكنيسة الرومانية الآن.

ب- الملكانية: هم أصحاب **(ملكا)** الذى ظهر بالروم واستولى عليها، وهى طائفة مسيحية من الطقس البيزنطى منتشرة فى سوريا ومصر وفلسطين ومنها جالية هامة فى أمريكا، وكنيستهم تسمى كنيسة الروم.

سموا (الملكيين) لأنهم أيدوا القرار الذى اتخذه مجمع (خليكدونيه) سنة ٤٥١م ضد القائلين بأن للمسيح طبيعة واحدة -وهو مذهب الكنيسة المصرية-، فلقبهم مخالفوهم إزدراءً لهم بالملكيين لوقوفهم فى صف الملك

---

(١) محاضرات فى النصرانية صـ١٥٨ الشيخ أبو زهرة .مرجع سابق.

(قرقيانوس) الذى كان يعارض قرار مجمع (أفسس الثانى) الذى قرر للمسيح طبيعة واحدة.[1]

من أقوالهم: أن المسيح ناسوت كلى لاجزئى، وهو قديم من قديم أزلى، ولقد ولدت مريم إلهاً أزلياً، وأن القتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت، وأن للمسيح طبيعتين ومشيئتين إحداهما لاهوتية والأخرى ناسوتية قد امتزجتا امتزاج اللبن بالماء.

قالوا: إن الكلمة اتحدت بجسم المسيح وتدرعت بناسوته.

وقال بعضهم (إن الكلمة مازحت جسد المسيح كما يمازج الخمر اللبن، أو الماء اللبن) [2]

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة صـ١٧٤٢ محمد شفيق غربال، دار النهضة -بيروت -لبنان-١٩٨٠م

(٢) الملل والنحل للشهرستانى جـ٢/٥١. مرجع سابق ومما تجدر الإشارة إليه أن مذهب الملكانية قد أخذت به الكنيسة الكاثوليكية ويسمون الروم الكاثوليك، وقد جمع د.أحمد شلبى بينهما فى حديث واحد فى كتاب المسيحية صـ١٩١. وراجع الكاثوليكية فى كتاب الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة صـ١٢١ د. على عبد الواحد جـ١ ط القاهرة . وشكلات العقيدة النصرانية صـ٦٥،٦٦ د.سعد الدين صالح.

جـ - اليعقوبية[1] نشأتها ومراكز انتشارها:

اليعقوبية هم أتباع الناسك المطران " يعقوب البرادعى" المتوفى سنة ٥٧٨م مؤسس الكنيسة اليعقوبية بالشام، وقد كان رجلاً قوى الشكيمة قوى العارضة بالغ الأثر ظهر فى وسط القرن السادس الميلادى يدعو الناس إلى اعتناق مذهب كنيسة الإسكندرية (الكنيسة المصرية) التى ترى أن المسيح طبيعة واحدة اجتمع فيها اللاهوت والناسوت بدون امتزاج ولا اختلاط.[3]

ونسبة ذلك المذهب إلى "يعقوب البرادعى" لأنه من أنشط الدعاة إليه،لا لأنه مبتدعه ومنشئه[2]، فإن ذلك المذهب أسبق من يعقوب هذا؛ لأن أول من أعلنه هو بطريرك الإسكندرية البابا " كيرلس الأسكندرى" فى منتصف القرن الخامس الميلادى؛ أى قبل ظهور "يعقوب البرادعى" بقرن من الزمان تقريباً.

---

(١) هذه التسمية تغيرت اليوم وحل محلها اسم "السريان الأرثوذكسى" وقد جمع الدكتور أحمد شلبى بين الأرثوذكس واليعقوبية فى حديثه عن طبيعة المسيح والآراء حولها ، فبعد أن تحدث عن المذهب الأرثوذكس فى طبيعة المسيح قال: "قد يسمى هذا المذهب بالمذهب اليعقوبى..." المسيحية ١٩٠،١٩١. مرجع سابق. ويؤيد هذا صاحب كتاب تاريخ الموارنة ومسيحى الشرق عبر العصور فيقول :" يطلق المؤرخون عامة على السريان الأرثوذكس أسم السريان اليعاقبة، إلا أن أسقفهم الحالى " الشمعونى" يرفض هذه التسمية ويصر على تسمية طائفته بالسريان الأرثوذكس.جـ٥/٢٦٠ تأليف عبد الله أبى عبد الله دار الملفات ط أولى ١٩٩٧.

(٢) ولقد تبنت اليعقوبية مونوفيزية " الأوتاخية" التى أعلن عنها الراهب القسطنطينى "أوتيخا" الذى قال:" إن المسيح كان قبل التجسد طبيعتين (إلهية وبشرية) ولكن بعد الإتحاد لم يبق إلا طبيعة واحدة هى الإلهية، أما البشرية فذابت فى الإلهية، وقد حرف هذا القول فى مجمع خلكيدونيه سة ٤٥١م. راجع: المسيحية العربية وتطوراتها من نشأتها إلى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى.صـ٢٩ د. سلوى بلحاج ، دار الطليعة، بيروت، لبنان. ط أولى ١٩٩٧م.

(٣) أما الذى عزز شأن هذا المذهب بمؤلفاته اللاهوتية وبدفاعه عن هذه العقيدة فهو البطريرك "مارسويريوس الكبير" بطريرك إنطاكية (٥١٢-٥٣٨م) راجع العرب النصارى صـ٣٠ لحسين العودات ط.

وقد لخص صاحب كتاب تاريخ المسيحية فى مصر عقيدة الكنيسة المصرية فقال:" كنيستنا المستقيمة الرأى التى تسلمت إيمانها من "كيرلس" و"ديسقوريس" ومعها الكنائس الحبشية والأرمينية والسريانية والأرثوذكسية، تعتقد بأن الله ذات واحدة مثلثة الأقانيم، أقنوم الأب، وأقنوم الابن، واقنوم الروح القدس، وأن الأقنوم الثانى أى أقنوم الابن تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، فصير هذا الجسد معه واحداً وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة، بريئة من الانفصال، وبهذا الإتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ومشيئة واحدة".(١)

وبسبب هذه القرارات التى اتخذتها الكنيسة المصرية بشأن طبيعة المسيح وأنه طبيعة واحدة انعقد -كما سبق وأشرت- مجمع "خلكيدونيه"، وقرر أن للمسيح طبيعتين، وحرم بطريرك الإسكندرية وتم عزله، " ولما طرق مسامع المصريين مالحق لبطريركهم من الحرمان والعزل هاجوا وغضبوا واتفقوا على عدم الاعتراف بقرار المجمع الذى أصدر هذا الحكم، وأعلنوا رضاءهم ببقاء بطريركهم رئيساً عليهم ولو أنه محروم مشجوب، وأن إيمانه ومعتقده هو عين إيمانهم ومعتقدهم ولو خالفه فيها جميع أباطرة القسطنطنية وبطارقة رومية، ولقد اعتبر المصريون أن الحكم الذى صدر ضد بطريركهم ماس بحريتهم الوطنية مجحف بحقوق السياسة ولو أنه حكم دينى صرف... ولقد كان الخلاف يشتد كلما عين الرومان بطريقا فإن المصريين يرفضونه محتجين بأنه على غير مذهبهم ومن غير جماعتهم، ويجب أن يكون بطريركهم بعد هذا الاختلاف من المذهب الذى ارتضوه ديناً باختيارهم، فكان بعض الأباطرة يأخذهم بالعنف

(١) نقلاً عن محاضرات فى النصرانية صـ١٤١ لأبى زهرة. مرجع سابق.

هؤلاء هم الأكثرون، وبعضهم يأخذهم بحسن السياسة ولطف الكياسة فيترك لهم حرية اختيار بطريركهم والاطمئنان إلى مذهبهم، وكانت الأيام والسنون هكذا أحياناً على نهج من الهوادة والرفق، وأحياناً كثيرة على شطط وعنف حتى ظهر "يعقوب البرادعى" فى منتصف القرن السادس الميلادى -يدعو إلى مذهب الكنيسة المصرية وهو الذى تبلور بعد ذلك فيما يسمى "اليعقوبية" (١).

ولقد كان الأقباط من اتباع مذهب الطبيعة الواحدة "المونوفيزية" مثلهم مثل السريان، والأرمن، والأحباش، والغساسنة، وتبنوا هذا المذهب، ودافعت عنه كنيسة الإسكندرية فى المجامع كلها، ولم تستطع الكنيسة الملكية وهى الكنيسة البيزنطية الرسمية أن تزحزحهم عن مذهبهم هذا، حتى صار ديانة قومية للأقباط، ولذلك كانت علاقاتهم حسنة دائماً مع أتباع هذا المذهب فى بلاد الشام (الغساسنة والسريان) وكان الأقباط ملجأً لهاتين الفئتين ومضيفاً لهما على الدوام.(٢)

ويذكر المسعودى أن لليعاقبة كرسيين: الأول فى انطاكية، والثانى فى مصر، والغالب على نصارى مصر من الأقباط وغيرها بفسطاطها وسائر كورها وما يليها من أرض النوبة والأحباش على رأى اليعقوبية وبها منهم ما لا يحيط به الاحصاء كثرة ومقام بطريركتهم بدير يعرف (بأبى مقار) بناحية الإسكندرية.(٣)

وكانت الكنيسة الملكية تضطهد أصحاب الطبيعة الواحدة وتمارس عليهم العسف والحيف، وكان هؤلاء يحقدون على الملكيين، وكان "بنيامين" بطريرك الإسكندرية يتحين الفرصة للثأر من الملكيين، معاهد المسلمين،

---

(١) المرجع السابق صـ١٩٩.

(٢) العرب النصارى صـ٥٤ لحسين العودات . مرجع سابق.

(٣)التنبيه والاشراف صـ١٣٠ للمسعودى، تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوى، طبعة القاهرة١٩٣٨م.

واتفق معهم وسلم إليهم الإسكندرية وبلاد مصر فأكرموه، وأحسنوا إليه، وأفازوه بأمانيه، وصار الأقباط عوناً للمسلمين على الملكيين، وكتب خليفة المسلمين آنذاك "عمر بن الخطاب" رضى الله عنه لبنيامين أماناً فى سنة ٦٤٢م، وخرج إلى "عمرو بن العاص" عامل "عمر بن الخطاب" من الأديرة التى ببرية الأسفيط والصعيد سبعون ألف راهب يعقوبى بيد كل راهب عكاز، وسلموا عليه، فكتب لهم عهداً فتغلب اليعاقبة على كنائس مصر وديارتهم كلها وانفردوا بها دون الملكيين، وهرب "جاورجيوس" بطريرك الملكيين إلى القسطنطنية، وتضعضع أمر الملكيين فى الإسكندرية ومصر، وبقوا سبعاً وتسعين سنة بغير بطريرك من عهد "عمر بن الخطاب" إلى عهد هشام بن عبد الملك.(١)

وتشير المصادر التى أرخت لليعقوبية أن مذهب الطبيعة الواحدة الذى تدعو إليه "اليعقوبية" انتشر أيضاً فى الشام منذ القرن السادس الميلادى حيث كان المناخ مناسباً لتأثر العرب بالعقيدة " اليعقوبية" ولقد اثبتت هذه المصادر بعض القبائل التى تأثرت بهذه العقيدة كالغساسنة، فقد تأسست منذ سنة ٥٤٣م أسقفية عربية يعقوبية إطلق عليها اسم "اسقفية غسّان" وتشهد هذه المصادر أن الغساسنة أصبحوا ينفرون كل النفور من المسيحيين الملكانيين.

(١) الأب بولس سباط: مجلة الشرق. تشرين الأول ١٩٤٥. نقلاً عن العرب النصارى صـ٥٥مرجع سابق.

وتشير المؤرخة "بيفوليفسكيا" إلى سبب هذه الظاهرة فتقول:" ولقد اجتذب الغساسنة إلى اليعقوبية نزعتها الانفصالية، ومناوءتها المعروفة للديانة الرسمية للدولة، هذا بالإضافة إلى استقلالها عن سلطة الحكومة المركزية".(١)

ويؤكد الأب جرجس داوود إنتشار مذهب اليعقوبية -القائل بأن للمسيح طبيعة واحدة- فى الشام يقول:" أما اليعاقبة أنداد النساطرة ومخالفوهم فى المذهب بالنسبة لطبيعة المسيح؛ فقد إنتشر مذهبهم بين عرب بلاد الشام والبادية وخاصة بين عرب تغلب الذين بشرهم أحد تلاميذ يعقوب المسمى "أحودمه" والذى أقام بين التغلبيين كهاناً ورهباناً وبنى الأديار وأنشأ اسقفيتين، أسقفيه العرب، وأسقفية التغلبيين"(٢)

وتشير هذه المصادر أيضاً إلى إنتشار المذهب اليعقوبى فى العراق رغم تحريم هذا المذهب فى مجمع "لاقاط" سنة ٤٨٤م، والاضطهاد الذى تعرض له اليعاقبة من قبل النساطرة بزعامة الأسقف "برصوما" فإنهم تمكنوا من البقاء بالعراق.

يقول المسعودى:".... وأكثر اليعاقبة بالعراق وبلاد تكريت والموصل والجزيرة... والأرمن يعاقبة، ومطران اليعاقبة بتكريت بين الموصل وبغداد"(٣)

---

(١) المسيحية العربية وتطوراتها من صـ٣٥ ، صـ٤٠ د.سلوى بلحاج صالح، وقد رجعت إلى مراجع أجنبية متعددة قد أرخت لليعقوبية المسيحية.

(٢) أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضارى والاجتماعى صـ٢٥٠ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٩٨٢م.

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر ٣٥٩/١ للمسعودى توفيق محى الدين عبد الحميد ط القاهرة ١٩٤٨م.

وزدات الموجات اليعقوبية المطرودة من سوريا بسبب اضطهادات الامبراطور "يطينس الأول" بين عامى ٥١٨-٥٢٣م فى تدعيم الحضور اليعقوبى بالعراق، ومنذ أواخر النصف الأول من القرن السادس الميلادى أصبح لليعاقبة أساقفة بالعراق، وقد كان للراهب "يعقوب البرادعى" دور فعال فى نشر مذهبه فى العراق بالنسبة لهذه الفترة، وفى سنة ٥٥٩م أصبح لليعاقبة بالعراق رئيس أعلى إثر سيامة "أحودمة" مطراناً على الكنيسة اليعقوبية، ويعود تنصر العرب فى الجزيرة الفراتية والعراق إلى جهود أحودمة ثم إلى خلفائه من بعده.(١)

مما سبق يتبين أن اليعقوبية المسيحية " أصحاب القول بأن المسيح طبيعة واحدة " كان لها وجوداً قوياً فى مصر والشام والعراق.. واستطاعوا أن يفرضوا سيطرتهم فى هذه البلدان، ويزاحموا النسطوريين والملكانيين وأن يجعلوا مذهب الطبيعة الواحدة هو المذهب السائد فى ذاك الوقت، بل استمر بقاؤها حتى اليوم، وهذا ما يؤكده صاحب كتاب :" مذاهب وملل وأساطير فى الشرق الأدنى والأوسط " بقولهما:

ظهرت بدعة السريان (الأثوذكس) فى اقتفاء بدعة نسطوريوس وأدنيت عام ٤٥١م فى مجمع "فلكيدونيا"، وإلى هذه العقيدة المنشقة، المسماه "ذات الطبيعة الواحدة" بقيت حتى يومنا هذا أربع كنائس مؤمنة بها هى: السريانية، والأرمنية، والقبطية، والأبيسية وتضم ما يقرب من أربعين مليون مؤمن"(٢)

---

(١) انظر انتشار اليعقوبية فى العراق فى كتاب: المسيحية العربية وتطوراتها من صـ٦٠-٦٥ د.سلوى بلحاج مرجع سابق . وأيضاً فى كتاب: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان جـ١١/١٩٤ لابن خلكان. تحقيق إحسان عباس-بيروت- دار الثقافة ١٩٧٣م.

(٢) جاك كاليبو، نيكول كاليبو . تعريب فارس غصوب. الناشر دار الفارابى بيروت ط أولى ١٩٩٧م.

وقد كان لكثير من اليعاقبة اهتمامات بالترجمة فاشتغل الكثير منهم فى ظل الإسلام بنقل الفلسفة اليونانية وكتبها إلى السريانية، ثم إلى العربية، ولقوا من الخلفاء المسلمين كل تشجيع وتقدير، فكان لذلك أثره المنتج فى تاريخ الحياة العقلية الإسلامية، ولا سيما فى الناحيتين الكلامية والفلسفية.(١)

وبعد الحديث عن اليعقوبية ونشأتها ومراكز إنتشارها ننتقل إلى المبحث الثالث الذى نتحدث فيه عن أهم معتقدات اليعقوبية والمتمثلة فى:"ألوهية المسيح وعقيدة التجسد، وعقيدة التثليث، وعقيدة الصلب والفداء.

(١) الموسوعة العربية الميسرة صـ١٩٨٣. مرجع سابق.

المبحث الثالث

معتقدات اليعقوبية (عرض ومناقشة)

وفيه ثلاث مسائل

المسألة الأولى: ألوهية المسيح وعقيدة التجسد عند اليعقوبية:

تباينت أقوال النصارى فى المسيح عليه السلام قبل افتراقهم إلى يعقوبية ونسطورية وملكانية. وذهبوا فيه مذاهب شتى.. لذلك رأى "قسطنطين" ضرورة توحيد كلمة النصارى والإنتهاء إلى قانون إيمانى يحملون الناس عليه ويأخذونهم به، فعقد المجمع الأول فى نيقية سنة ٣٢٥م، وقرروا فيه ألوهية المسيح، وأظهروا البراءة من 'أريوس' ومن تبعه من الموحدين الذين يرون أن الإله واحد، وأن المسيح ليس إلهاً بل عبد مخلوق، وكتبوا قولهم الذى اجتمعوا عليه يومئذ، فيما يسمى بقانون الإيمان أو ' تسبيحة الإيمان' كما يسمونه. والذى ينص على أننا:" نؤمن بالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد، بكر الخلائق كلها، وليس بمصنوع إله حق من إله حق من جوهر أبيه الذى بيده اتقنت العوالم وخلق كل شئ، الذى من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس، وصار إنساناً وحبل به، وولد من مريم البتول.. وصلب أيام 'بيلاطوس' ودفن ثم قام فى اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس على يمين أبيه'.[1]

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى جـ٢/صـ٥٢ على هامش الفصل، مرجع سابق، وقارن بما فى "تثبيت دلائل النبوة" للقاضى عبد الجبار، حيث قام بتحليل هذا القانون واستخلاص أهم النتائج المترتبة عليه صـ صـ ٩١،٩٢ تحقيق د. عبد الكريم عثمان ، دار العربية للنشر بيروت- لبنان، ١٩٦٦م.

وقد اتفقت اليعقوبية مع بقية فرق النصارى على أن الابن هو الكلمة وأنه حل فى إنسان تام كامل خلق من زرع مريم العذراء بلا جماع، وأن حلول الكلمة فى ذلك الإنسان إنما هو العناية الإلهية أو الإرادة، لا بالجوهر ولا التركيب ولا الامتزاج ولا الاختلاط ولا الانتقال من مكان إلى مكان وأن الإنسان إنما دعى أبناً لمكان الابن الذى حله، كما يدعى الحديد ناراً إذا حلته النار.(١)

غير أن النصارى بفرقهم الثلاث وإن اتفقوا على الإيمان بألوهية المسيح وعقيدة التجسد فإنهم مختلفون فى طبيعة هذا التجسد ومتى حصل، وكيف، وكان ذلك عاملاً قوياً أدى إلى اختلافهم؛ فمنهم من أثبت للمسيح طبيعتان، ومنهم من أثبت له طبيعة واحدة، ونظراً لهذا الاختلاف فى طبيعة المسيح عقدت المؤتمرات المسكونية للفصل فى هذه القضية، وإيجاد حل لها، فأدى ذلك إلى إتساع هوة الخلاف بين الفرق المسيحية الثلاث.

طبيعة المسيح فى نظر الفرق المسيحية:

فروق دقيقة تلك التى تميز فرقة اليعقوبية عن غيرها من فرق النصارى بالنسبة لطبيعة المسيح ويكاد ينحصر الخلاف بينهم فى المسيح هل هو طبيعة واحدة (إلهية) أو طبيعتين إحداهما إلهية والأخرى إنسانية، وفيمن وقعت الولادة والصلب أهو للمسيح بكماله (لاهوتيته وناسوتيته) أو ناسوته دون لاهوته... وهل للمسيح مشيئة واحدة أو مشيئتان...إلخ.

فالملكانية يرون فيما حكاه عنهم الحسن بن أيوب :" أن الأبن الأزلى الذى هو الكلمة تجسد من مريم تجسداً كاملاً كسائر أجساد الناس، وركب فى ذلك الجسد نفساً كاملة بالعقل والمعرفة والعلم كسائر أنفس

(١) الكتاب الأوسط فى المقالات للناشئ الأكبر صـ٧٧ ط بيروت- لبنان، ١٩٧١م.

الناس، وإلها بجوهر اللاهوت، كمثل أبيه لم يزل، وهو إنسان بجوهر الناسوت مثل إبراهيم وداود، وهو شخص واحد لم يزد عدده.. وطبيعتان، ولكل واحد من الطبيعتين مشيئة كاملة، فله بلاهوته مشيئة مثل الأب والروح، وله بناسوته مشيئة إبراهيم وداود"[1] .

وإذا كانت " الملكية" قد ذهبت إلى أن المسيح شخص واحد وأن لطبيعته مشيئتين فإن " النسطورية" قد ذهبت إلى القول: بأن المسيح شخصان وطبيعتان لهما مشيئة واحدة وأن طبيعته اللاهوت التى للمسيح غير طبيعة ناسوته وأن طبيعة اللاهوت لما توحدت بالناسوت بشخصها الكلمة صارت الطبيعتان بجهة واحدة وإرادة واحدة، واللاهوت لا يقبل زيادة ولانقصاناً ولا يمتزج بشئ والناسوت يقبل الزيادة والنقصان. فكان المسيح بتلك إلهاً وإنساناً فهو إله بجوهر اللاهوت الذى لا يزيد ولا ينقص، وهو إنسان بجوهر الناسوت القابل للزيادة والنقصان، وذهبت إلى أن مريم ولدت المسيح بناسوته وأن اللاهوت لم يفارقه قط منذ توحدت بناسوته.[2]

ومما جاء عن طبيعة المسيح عند " النسطورية" أنها زعمت أن المسيح ماسح وممسوح إله وإنسان، يعنون بالماسح الكلمة وبالممسوح الإنسان الذى ولدته مريم، وزعموا إنه جوهران اقنومان مشيئة واحدة، جوهر قديم هو الكلمة وجوهر محدث هو الإنسان المولود من مريم، اقنوم قديم هو الكلمة وأقنوم محدث هو الإنسان الذى ولدته مريم، وربما قال بعضهم : طبيعتان وأقنومان وطبيعة وجوهر -ها هنا- واحد.[3]

---

(١) الجواب الصحيح ٩٢/٤ لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق وتعليق د. على بن حسن بن ناصر، د. عبد العزيز العسكر.

(٢) المرجع السابق ٩٤،٩٣/٤ . د.حمدان بن محمد الحمدان، دار العاصمة- الرياض السعودية ١٤١٤هـ.

(٣) الفكر الإسلامى فى الرد على النصارى صـ٢٩٢ مرجع سابق.

ويقتضى هذا القول عند " النسطورية" أن المسيح إله إنسان ما سح وممسوح اتحدا فصارا مسيحاً واحداً ومعنى " اتحدا" أى صار من أثنين واحدا.

والمسيح عندهم على الحقيقة جوهران اقنومان. جوهر قديم لم يزل وهو الكلمة التى هى أحد أقانيم الإله وجوهر محدث كان بعد أن لم يكن وهو 'يسوع' المولود من مريم. وربما جعلوا بدل ' إتحد' ' تجسد' وربما قالوا " تأنس" و"تركب" [1].

أما موقف اليعقوبية من طبيعة المسيح:

فقد تبنى اليعاقبة مذهب الكنيسة القبطية المصرية الذى ذهب إليها البابا "كيرلس" بطريرك الإسكندرية والذى يقضى بأن المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة، ويوضحها صاحب كتاب تاريخ الأقباط من أن " لسيدنا يسوع المسيح اقنوماً واحداً إلهياً، اتحد بالطبيعة الإنسانية إتحاداً تاماً بلا اختلاط ولا إمتزاج ولا إستحالة، فالعذراء والحالة هذه هى بحق والدة الإله، فمريم لم تلد إنساناً عادياً بل ابن الله المتجسد، لذلك هى حقاً أم الله"[2].

(١) المغنى ٨٢/٥ للقاضى عبد الجبار صـ٢٩٢ مرجع سابق.

(٢) تاريخ الأقباط جـ١/١٦٠ زكى شنودة.

ويحكى ابن حزم عن اليعقوبية رأيهم فى طبيعة المسيح وهو "أن المسيح هو الله تعالى نفسه[1] وأن الله -تعالى عن عظيم كفرهم- مات وصلب وقتل، وأن العالم بقى ثلاثة أيام بلا مدبر، والفلك بلا مدبر، ثم قام ورجع كما كان، وأن الله تعالى عاد محدثاً، وأن المحدث عاد قديماً، وأنه تعالى هو كان فى بطن مريم محمولاً به'.[2]

ويروى عنهم الشهرستانى أيضاً أنهم قالوا:' انقلبت الكلمة لحماً ودماً فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو هو، وعنهم أخبر القرآن الكريم: 'لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم'[3].

فاليعقوبية يرون أن المسيح عليه السلام جوهر واحد اقنوم واحد إلا أنه من جوهرين، وربما قالوا: طبيعة واحدة من طبيعتين، فجوهر الإله القديم وجوهر الإله المحدث تركباً كما تركب النفس والبدن، أو الروح والجسد، فصارا شيئاً واحداً واقنوماً واحداً، وأنه إنسان كله وإله كله.[4]

فيقال صار الإنسان إلهاً ولا يقال صار الإله إنساناً، ومثلوا ذلك بالفحمة تطرح فى النار فيقال عنها: صارت الفحمة ناراً ولا يقال النار فحمة[5] وهى فى حقيقة الأمر ليست ناراً مطلقة ولا فحمة مطلقة بل هى

---

(١) وقد حكاه عنهم أيضاً علىّ بن ربّن الطبرى فى رده على النصارى صـ١٦، نشرة الأبوان خليفة وكوتشك، بيروت، ١٩٥٩م.

(٢) الفصل فى الملل والنحل جـ١/ ١١١، مرجع سابق .

(٢) سورة المائدة من الآية ٧٢.

(٤) كان هذا بما أورده ابن تيمية عن الحسن بن أيوب فى كتاب الجواب الصحيح جـ٤/٩١، ونراه قد أضاف قولهم أن مريم ولدت الله، وأنه مات وتألم وصلب متجسداً ودفن وقام من بين الأموات. وقارن أيضاً بما اورده القاسم بن إبراهيم الحسنى فى رده على النصارى صـ١٦،١٧ مرجع سابق.

(٥) الملل والنحل للشهرستانى ٢/٥٤ على هامش الفصل. مرجع سابق.

جمرة جمعت بين الفحم والنار، فكذلك المسيح جمع بين الناسوت واللاهوت وصار طبيعة لاهوتية واحدة، فالمسيح إله ابن الإله، ومريم هى حقاً أم الإله.

وتجتمع النسطورية مع اليعقوبية فى القول بأن الابن الذى هو الكلمة اتحد بإنسان محدث مولود من مريم، خلافاً للملكانية الذين يرون أنه اتحد بالإنسان الكلى، غير أن اليعقوبية تتوافق مع الملكية من ناحية أخرى وهى أن الصلب والأذى والقتل وقع على الإله (اللاهوت) وأنه صلب فداءً للبشرية جمعاء.(١)

وقد هاجم الحسن بن أيوب عقيدة اليعقوبية فى طبيعة المسيح ووصفها بالشنوع والكفر والخروج عن صريح المعقول وصحح المنقول بقوله:[فجاؤا من القول بما لو عرض على السماء لانفطرت أو على الأرض لانشقت، أو على الجبال لانهدت، فلم يكن لمحاجة هؤلاء وجه، إذ كان كفرهم بما صرحوا به أوضح من أن يقع فيه الشك، وكان غيرهم من النصارى؛ كالملكانية والنسطورية يشهدون عليهم بذلك](٢)

وهذا يدل على أن العقيدة اليعقوبية فى طبيعة المسيح لما كانت خارجة على مقتضى العقل ومخالفة تماماً لما نزل به الوحى كانت محل نقد ورفض من النصارى أنفسهم كما ذكر الحسن بن أيوب، فضلاً عن نقض المسلمين لهذه العقيدة الفاسدة.

---

(١) الكتاب الأوسط فى المقالات صـ٨٠ للناشئ الأكبر، مرجع سابق.

(٢) الجواب الصحيح ١٩١/٤ لابن تيمية. مرجع سابق.

هذه هى عقيدة اليعقوبية فى المسيح عليه السلام حيث يرون أنه طبيعة إلهية واحدة من طبيعتين (إلهية وإنسانية) اتحدتا كإتحاد الماء بالخمر فصار شيئاً واحداً[1] فصار الإنسان إلهاً، فالمسيح عندهم هو الله- تعالى الله عن قولهم- ومن الطبيعى وعقيدة اليعقوبية فى المسيح على هذا النحو أن تكون بصفة خاصة موضع مهاجمة عنيفة من قبل مفكرى الإسلام فقد اعتبروا أنها تذهب إلى أقصى حدود منطق قانون مؤتمر (نيقية) سنة ٣٢٥م الذى يقضى بألوهية المسيح، وأنها أبلغ درجة فى الكفر بمعنى أنها على النقيض تماماً مع العقيدة الإسلامية لاسيما فى نسبتها الحوادث إلى الله تعالى من ولادة وألم وقتل وصلب. فكان من الضرورى قيام المفكرين الإسلاميين بالرد على هذه العقيدة وبيان فسادها وأنها ليس لها سند شرعى تستند إليه وأنها ما هى إلا نتيجة إيمان طائفة من النصارى بأن عيسى إله ونتيجة عملية تأويلية لشخصه ولتعاليمه لذلك جاءت متناقضة ومخالفة لمقتضى العقل، ولما ثبت عن رب العزة من تفرده وحده بالألوهية والخلق وأنه وحده المستحق للعبادة.

مناقشة عقيدة التجسد وألوهية المسيح عند اليعقوبية:

عرفنا فيما سبق أن اليعقوبيين يذهبون إلى أن المسيح جوهر واحد من جوهرين أو (طبيعة واحدة من طبيعتين) بمعنى أن جوهر الإله وجوهر الإنسان اتحدا فصارا جوهراً واحداً اقنوماً واحداً طبيعة واحدة.

---

(١) الفصل فى الملل ١١٧/١ فالماء والخمر إذا أمتزجا وخلطا معاً يطيران شيئاً واحداً لايفصل بينهما إلا بعملية كيميائية.

وقد قام بالرد على هذا الاعتقاد كثير من المفكرين الإسلاميين[1] فقد أفرد القاضى عبد الجبار فصلاً فى كتابه المغنى لأبطال مقولتهم هذه فقال:" إن هذا الرأى باطل " لأن الشيئين يستحيل أن يصيرا شيئاً واحداً فى الحقيقة كما يستحيل أن يصير الشئ الواحد شيئين" على أن اللاهوت لوجاز أن يتحد بالناسوت ويصيران شيئاً واحداً، لجاز أن يصير الجوهران بالمجاورة جوهراً واحداً أو العرض بحلوله فى الجوهر مع العرض شيئاً واحداً، أو الأعراض باجتماعها فى المحل الواحد تصير شيئاً واحداً، فإذا بكل ذلك ... بطل القول بأن اللاهوت باتحاده بالناسوت صارا شيئاً واحداً.[2]

ويقول أيضاً "فلو جاز ماقالوه، لوجب أن يستحيل الموت على الناسوت، إذ قد صار بإتحاد اللاهوت به شيئاً واحداً، وخرج عن طبيعته الناسوتيه، وجواز الموت عليه مما يختص به الناسوت"[3]فيترتب على ذلك أن يستحيل على المسيح بعد إتحاده بالله كل صفة تختص بالإنسان وكل فعل لا يجوز إلا عليه، من نحو الأكل والشرب والصلب والقتل والحركة والإنتقال" لأنه بالإتحاد قد خرج عن طبيعته الناسوتية وجوهرها. والواقع غير ذلك.

---

(١) وسوف نعتمد فى ردنا على اليعقوبية فى قضية التجسد وغيرها من القضايا كالتثليث والصلب على ما أورده أصحاب الردود على النصارى من المفكرين الإسلاميين الذين كانوا قريبين العهد بهذه الفرقة وغيرها من فرق النصارى، وقاموا بشرح مقاصدهم وعقائدهم ثم ردوا عليها وبينوا مدى تناقضها، وعدم ثبوتها عن المسيح عليه السلام، أو مناقضتها لمقتضى العقل... ومن هؤلاء أبى عيسى الوراق، القاسم بن إبراهيم الحسنى، والباقلانى، والقاضى عبد الجبار ، والحسن بن أيوب، وابن حزم وابن تيمية وغيرهم من المحدثين.

(٢) المغنى ١٣٧/٥ للقاضى عبد الجبار ، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

فيجب على هذا القول أن يكون المسيح قد صار بعدما كان محدثاً قديماً بإتحاد اللاهوت به، وهذا محال لأن المحدث لا يصير قديماً، كما يستحيل أن يصير القديم محدثاً، بل إن صيرورة المحدث قديماً أكثر استحالة لأن ما وُجد بعد أن لم يكن لا يجوز أن يصير موجوداً لم يزل.(١)

أما الباقلانى فقد ألزمهم عند قولهم بالطبيعة الواحدة فى المسيح أن يضطرون إلى قبول أحد أمرين هما: إما جعل الله يتخلى عن جوهرة المنزه عن الأعراض بحلوله فى ناسوت عيسى فيصبح قابلاً للأعراض متصفاً بها، أو إلى نزع صفات البشرية عن عيسى فلا يصح فى شأنه أن يأكل ولا يشرب ولا يجوز عليه التألم أو القتل أو الصلب مع أنه يأكل ويشرب ويتألم.. فلا مهرب لهم من قبول إحدى هاتين النتيجتين اللتين لا يخفى فسادهما.(٢)

وقد أورد القاضى عبد الجبار رد أبى على الجبَّائى على اليعقوبية ولخصه فى خمسة إلزامات ألزمهم إياها وهى:

١- أن يقولوا إن المسيح كان عابداً لنفسه، إن كان عند الإتحاد قد صار هو والابن شيئاً واحداً.

٢- أن يكون فعل اللاهوت هو فعل الناسوت عند الإتحاد، ومتى جاز ذلك، جاز أن تكون قدرتهما قدرة واحدة.

---

(١) نفس المرجع ١٣٨/٥ وقد يرد على هذا القول قولهم: أننا لم نقل إن المسيح محدث بل هو قديم أزلى موجود قبل الخلائق بل بيده اتقنت العوالم وخلق كل شئ فهو غير مخلوق ولا محدث، وهو قول اليعقوبية. راجع تثبيت دلائل النبوة ٩٢/٩١.

(٢) راجع تفصيل رد الباقلانى على اليعقوبية فى التمهيد فى الرد على الملاحدة المعطلة والرافضة الخوارج والمعتزلة صـ٩٠ ت.د عبد الهادى أبو ريدة، د. محمود محمد الخضرى، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٧م.

٣- أن الأقنومين الآخرين يجوز عليهما الإتحاد كجوازه على أقنوم الكلمة،لأن جوهرهما واحد، فما يجوز على بعضها يجوز على سائرها.

٤- القول باختلاف الأقانيم وتغايرها من حيث جاز على بعضها الإتحاد دون بعض، مع قولهم بأن الجوهر هو الأقانيم والأقانيم هى الجوهر، وهذا تناقض واضح.

٥- وألزمهم أخيراً القول بجواز التمانع بين هذه الأقانيم، لأن جوهرها إذا كان واحداً فيجب كونها قادرة، وذلك يصحح التمانع بينها، وذلك يوجب عجزها وضعفها أو ضعف بعضها.(١)

أما أبو عيسى الوراق فيرى أن قولهم " أن المسيح جوهر واحد من جوهرين" يؤدى إلى أحد أمرين: إما إلى الاختلاط والمناقضه، أو إلى ترك مقالتهم واللحاق بالنسطورية الذين يقولون بالطبيعتين فى المسيح إلهية وإنسانية.(٢)

فكان مما أورده عليهم قوله:

".. وإن قالوا: الإلهية والإنسانية فى شخصه (المسيح) جوهر واحد لإتحاد إحداهما بالأخرى لاجوهرين، لأن الإتحاد ينقض العدد، قلنا: فقد عاد الأمر إلى أن العين القديمة هى العين المحدثة، وأن الذى لم يزل

---

(١) المغنى ٥/١٤٠،١٤١.

(٢) أنظر أمثلة ذلك فى الرد على النصارى ٢/٥٦-٥٨ لأبى عيسى الوراق (ت٢٩٧هـ -٩١٠م) "يحيى بن عدى " ضمن كتابه " تبين غلط محمد بن هارون المعروف بأبى عيسى الوراق" حيث أثبت نص الوراق فى شكل فقرات، فى ثنايا كتابة، وما يزال هذا الرد الهام مخطوطاً -حسب علمنا- ومنه نسخ عديدة فى مكتبات باريس والفاتيكان ومصر، راجع تفاصيل ذلك فى كتاب: الفكر الإسلامى فى الرد على النصارى صـ١٤١-١٤٦ مرجع سابق.

هو الذى لم يكن، ولا وجه بعد هذا لذكركم الإلهية والإنسانية فى هذا الباب، إذ كانا قد صارا واحداً فى قولكم، ولا سيما فى زعمكم أن الإتحاد يسقط العدد، ومتى ذكرتم إلهية وإنسانية فقد أوجبتم ذكر الجوهرين وأثبتم النثية ورددتم العدد وصححتموه ولم تسقطوه. فهذا أقاويلكم تنقض بعضها بعضاً نقضاً ظاهراً.(١)

فقد أشار ابن حزم إلى فساد قول اليعقوبية فى التجسد وإتحاد الله بالمسيح كإتحاد الماء فى الخمر فصار شيئاً واحداً، ودلل على ذلك بقوله:"إن كان استحال الإله إنساناً، فالمسيح إنسان وليس إلهاً، وإن كان الإنسان استحال إلهاً، فالمسيح إله وليس بإنسان، وإن كان كلاهما لم يستحل واحد منهما إلى الآخر فهذا قول النسطورية -الذين يثبتون طبيعتين إلهية وإنسانية-لاقولهم، وإن كان كل واحد منهما استحال إلى الآخر فقد صار الإله إنساناً لا إلهاً، وصار الإنسان إلهاً لا إنساناً ، وحصلوا بعد هذا الحمق على قول النسطورية ولا مزيد، وإن كانا استحالا إلى غير الإنسان والإله، فالمسيح لا إله ولا إنسان، وكل هذا خلاف قولهم.(٢)

وهكذا نلحظ مدى اهتمام المسلمين بالرد على عقيدة التجسد عند اليعقوبية لما عرفوا أن هذه العقيدة تمثل النقيض المطلق لمفهوم التوحيد المجرد عند المسلمين- الذى يقرر أن الله تعالى واحد فى ألوهيته وربوبيته كما أنه واحد فى أسمائه وصفاته وأفعاله، وأنه تعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، ولمفهوم النبوة والرسالة- التى خص الله بها من اصطفاهم من الناس، قال تعالى " الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس" - فى نفس الوقت.

---

(١) وهذا ما سنبينه عند الحديث عن قولهم فى التثليث المرجع السابق ٢/٥٩،٦٠.

(٢) الفصل ١/١١٧، مرجع سابق.

كما نلحظ مدى موضوعيتهم ووفائهم لقانون "الإيمان" المسيحى الذى قرره مؤتمر نيقية، فكان الرد عليهم وبيان فساد مقالتهم هو بالتالى رد على ذلك القانون وبيان لفساده وهذا هو ما أوضحه الحسن بن أيوب فيما نقله عنه ابن تيمية بقوله: ' فإن كانت الشريعة -بمعنى الأمانه عندكم حقاً، فالقول ما قال يعقوب،[1] وذلك انّا إذا ابتدأنا من الشريعة[2] فى ذكر المسيح ثم نسقنا المعانى نسقاً واحداً وانحدرنا فيها إلى آخرها وجدنا القوم الذين ألفوها لكم قد صححوا أن يسوع المسيح هو ابن الله وهو بكر الخلائق كلها وهو الذى ولد من مريم، وليس بمصنوع، وهو إله حق من إله حق من جوهر أبيه الذى بيده اتقنت العوالم... فمن أنكر قول اليعقوبية لزمه أن ينكر هذه الشريعة التى تشهد بصحة قولهم وتلعن من ألفها"[3]

وبذلك يكون رد المفكرين الإسلاميين على اليعقوبية وإبطال عقيدتهم فى مشكلة التجسد والقول بألوهية المسيح هو فى الوقت ذاته إبطال لما ذهبت إليه باقى فرق النصارى التى تعترف بقانون الإيمان الذى قرره مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥م.

وسواء أكان ردهم موجهاً إلى ما إتفق عليه النصارى فى المسيح أو على آراء الفرق الثلاث الكبرى فيه، فإن ما رفضوه دائماً هو أن يكون عيسى إلهاً أو ابن إله، أو أن يكون أكثر من بشر رسول حتى وإن كان كلمة الله وروحه، بحيث كان النقد الذى وجهوه إليهم يرمى فى النهاية إلى تقويض أو نقض النصرانية فى أخص خصائصها باعتبار القول بألوهية

(١) يعنى به "يعقوب البرادعى" مؤسس فرقة اليعقوبية.

(٢) يقصد بها القانون الإيمانى الذى قرره مؤتمر نيقية.

(٣) الجواب الصحيح ٣٢٩/٢ ط القاهرة ١٩٠٥م.

عيسى وأنه ابن الله محورها وأساسها الذى بنو عليه بقية عقائدهم من التثليث والصلب والفداء: وهذا ما سنبينه فى خلال عرض عقيدة التثليث والصلب.

ومما يرد على اليعقوبية أيضاً بصفة خاصة والنصارى بصفة عامة أن عقيدة الألوهية والتجسد لم تظهر عندهم بصورة رسمية إلا بعد ثلاثة قرون تقريباً من بعثة المسيح عليه السلام وكان ذلك فى مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥، ومن هنا يأخذنا العجب حين نرى عقيدة كهذه تقرر بعد موت صاحبها- إن صحة نسبتها إليه كما يزعمون- بهذه الفترة الزمنية البعيدة، مما يدل على أنها من اختراعهم وأن عيسى لم يقل هذه المقالة الشنعاء وإنما إفتراها أتباعه وعلى رأسهم بولس.

ثم نتساءل بعد ذلك فنقول لهم: هل العقائد السماوية كلأ مباح للناس يزيدون عليها ما شاؤا وينقصون منها ما أرادوا كما هو الشأن فى المسيحية الحالية التى قرر عقائدها البابا وات والبطارقة فى المجامع المسكونية وغير المسكونية التى عقدوها بعد ثلاثة قرون من رفع المسيح ثم توالت بعد ذلك حتى ما بعد القرن العاشر الميلادى، إن العقائد السماوية لاتكون إلا عن طريق الوحى المنزل على أنبياء الله ورسله الذين يقومون بتبليغ هذه العقائد إلى الناس من غير زيادة أو نقصان، ولا يجوز لأى إنسان مهما بلغ من قوة البرهان والحجة ورجاحة العقل أن يقول فيها برأيه، وإلا كان قولاً بلا دليل ولا برهان.

لذلك نجد أن الله تعالى قد أنكر على المشركين عقيدتهم فى الملائكة حينما وصفوهم بأنهم إناث فقال الله تعالى :" وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً" ثم أقام الحجة عليهم وأظهر بهتان ما يزعمون

فقال:" أشهدوا خلقهم" ثم توعدهم بأن هذا القول سوف يحاسبون عليه فقال:" ستكتب شهادتهم ويسألون"[١].

كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سد هذا الباب أمام أمثال هؤلاء وأكد على أنه لا يجوز لأحد أن يعدل أو يحور من وحى السماء فقال:" من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[٢] أى باطل مردود عليه قوله.

ومما يدل أيضاً على بطلان ما يزعمون ذلك الاختلاف الظاهر بينهم فى طبيعة المسيح هل هو إنسان أو إله أو هما معاً.. أو بمعنى آخر هل هو طبيعة واحدة أو طبيعتين.

وأننى أرى أن هذا الاختلاف راجع إلى تحريفهم للكتب السماوية (التوراة والإنجيل) لأن الكتب السماوية حين تدخل فيها الأهواء البشرية بالتحريف والتعديل يؤدى ذلك حتماً إلى التناقض والاختلاف وهذا هو ما يشير إليه القرآن الكريم " ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً"[٣]

---

(١) سورة الزخرف الآية ١٩.

(٢) رواه البخارى فى صحيحه بسنده عن عائشة رضى الله عنها جـ٢/١٦٦كما رواه مسلم فى صحيحه أيضاً جـ٥/ ١٣٣.

(٣) سورة النساء الآية ٨٢

وقد وصف الله تعالى القرآن الكريم بما ينزهه عن التناقض وهو التشابه والإتساق فقال تعالى:" الله الذى نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً" ويقصد بالتشابه التناسب والتصادق والإتلاف، وضده الاختلاف الذى هو التناقض والتعارض[1]الذى وصف به كلام الكافرين بقوله تعالى:" إنكم لفى قول مختلف"[2] قال الرازى أى متناقض[3].

(١) درء تعارض العقل والنقل ٢٧٤/١ ط القاهرة ١٩٧١.

(٢) الذاريات الآية ٨.

(٣) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) جـ٦٣٠/٧ المطبعة المعاصرة بالقاهرة ١٣٠٨هـ.

المسألة الثانية:

عقيدة التثليث عند اليعقوبية

تعد عقيدة التثليث لدى المسيحيين من أهم العقائد التى تفرق بين الديانة المسيحية وباقى الأديان السماوية الأخرى فإذا كانت اليهودية قد أعتقدت بنوة الخلق لله كما أعتقدت تأليه البشر وتجسد الآلهة كالمسيحية فإن المسيحية طالعت الناس بعقيدة جديدة لم تدعيها ديانة سماوية أخرى فى تاريخ الوحى السماوى، وإن كانت لها أصولها فى العقائد الوثنية القديمة وغيرها من العقائد المنحرفة عن هدى السماء تلك هى عقيدة الثالوث "الأب والابن والروح القدس إله واحد"!!

وتعد عقيدة التثليث هى صلب العقيدة المسيحية أو هى نهاية ما بدأوه من القول بألوهية وبنوة عيسى وتأليه الروح القدس، فقد بلغت بها المسيحية رشدها وكمالها -فى زعمهم- ولم يصلوا إلى هذه العقيدة إلا بعد رفع المسيح عليه السلام بما يقرب من ثلاثة قرون ونصف القرن.(١)

فقد كان أول ظهور لعقيدة التثليث من خلال المؤتمر القسطنطينى المنعقد فى سنة ٣٨١م والذى أقر فيه بألوهية الروح القدس، بعد إقرارهم بنوة وألوهية عيسى فى مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥م والذى جاء فيه كما عبر صاحب كتاب تاريخ الأمة القبطية بقوله: " إن الجامعة المقدسة الكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن من لا شئ، أو من يقول إن الابن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الأب وكل من يؤمن أنه خلق، أو من يقول إنه قابل للتغير".(٢)

---

(١) مشكلات العقيدة النصرانية صـ١١٧ د. سعد الدين صالح مرجع سابق.

(٢) نقلاً عن محاضرات فى النصرانية صـ١٢٦.

ففى هذا القرار حدد موقف الأب والابن فقط وأنهما معاً إلهان قديمان أزليان، أما الروح القدس فلم يتحدد وضعه إلى أن ظهر خلاف كبير فى شأنه بين النصارى.

حيث عارض مقدونيوس القول بألوهية الروح القدس، وقال إنه ليس بإله ولكنه مخلوق مصنوع بينما ذهب قساوسة الإسكندرية وأسقفها المتأثرين بالأفلاطونية الحديثة التى تقول بالتثليث، والتى ترى أن المسيطر على العالم ثلاث قوى مؤثرة فيه- إلى أن الروح القدس إله كالأب والابن وأنه قديم مثلهما، وأسفر هذا الصراع عن عقد المجمع المسكونى الثانى والمعروف بالمجمع القسطنطينى الأول عام ٣٨١هـ وقد اجتمع فيه ما يقرب من مائة وخمسين أسقفاً.

كما سبق وأشرت فى الحديث عن المجامع -وانتهى المؤتمر بلعن مقدونيوس وإدانته ومن معه، ولعنوا البطارقة الذين يكونون بعده، ويقولون بمقالته، ثم قرر المصادقة على قرار مجمع نيقية وإضافة نص جديد عليه فى شأن الروح القدس يقول فيه " نعم نؤمن بالروح القدس الرب المحى المميت المنبثق من الأب نسجد له ونمجده مع الأب والابن الناطق فى الأنبياء".(١)

وبهذا يكون قد تم الثالوث لدى المسيحيين (الأب والابن والروح القدس)

مفهوم التثليث عند اليعقوبية:

ذهبت اليعقوبية إلى ما ذهبت إليه بقية فرق النصارى أن الله تعالى ثلاثة أشخاص مفترقة وأن تلك الأشخاص الثلاثة كلها طبيعة واحدة متفقة لم تزل جميعاً معاً لم يسبق بعضها فى الوجود بعضا أنزل واحداً

(١) قضايا المسيحية الكبرى صـ٥ للقس إلياس مقار. طبعة القاهرة.

منها وهو الابن إلى الأرض رأفة بالبشر من غير مفارقة منه للأب ولا الروح القدس إلى مريم العذراء فإتخذ منها حجاباً وستراً فتجسد منها بجسد كامل فى جميع إنسانيته.

ومما يعم عقيدة النصارى بفرقها الثلاث -اليعقوبية والملكية والنسطورية أيضاً أن الله خلق الأشياء بأبنه نفسه وحفظها ودبرها بروح قدسه وأن الأبن خلق الخلق وفطره، وأن روح القدس حفظ الخلق ودبره، وزعموا كذلك أن قوة الخلق غير قوة الحفظ والتدبير، وأن الرب لم ينفرد من ذلك كله بقليل ولا كثير، وأن حال الأب والأبن والروح القدس فى الإلهية واحدة، وأن عبادة كل واحد عليهم واجبة .[1]

هذه هى الصيغ الثالوثية الشائعة بين النصارى والتى يكادون يتفقون عليها إذ إن فرقهم وخاصة الثلاث الكبرى منهم -سالفة الذكر- تزعم أن الخالق الإله جوهر واحد ثلاثة أقانيم، وأن أحد هذه الأقانيم الثلاث أب والآخر ابن والثالث روح القدس، وأن الابن هو الكلمة، والروح هى الحياة، وهى التى تدعى عندهم "روح القدس" والأب هو القديم الحى المتكلم، وزعموا جميعهم أن هذه الأقانيم الثلاثة متفقة فى الجوهرية مختلفة فى الأقنومية وأن كل واحد منها جوهر خاص يجمعها الجوهر العام.[2]

(١) الرد على النصارى صـ١٤-١٦ للقاسم بن إبراهيم الحسنى، مرجع سابق.

(٢) المغنى ٨١/٥ للقاضى عبد الجبار، مرجع سابق

وزعموا أن الابن لم يـزل مولـوداً مـن الأب ولـم يـزل الأب والـداً للابن، ولم يزل الروح القدس منبثقاً من الأب، وربمـا جعلـوا مكـان منبثق "فائض" يريدون تحسين اللفظ.

وقد اختلفت تفسيراتهم لماهية الأقانيم فمنهم من زعم أنها أشـخاص وقال بعضهم إنها صفات، وقال بعضهم أنها خواص، وقالوا غير ذلك مـن التفسيرات التى تخالف ألفاظها هـذه الألفـاظ ومعناهـا موافـق لهـذه المعـانى أو مقارب.

واختلافهم فى تسمية ذلك إنما هو على قدر استحسـانهم وميـل كـل فريق منهم إلى ضرب من العبارات يراها أبلغ فى الإبانـة عـن مـراده مـن غيرها، وإن كانوا مع اختلافهم فى العبارة عن ذلك والتسمية لـه يرجعـون عند أنفسهم إلى تقارب معناه.

ولكن هل القول بالتثليث ورد به نص فى الإنجيل أو أن ذلك ناشئ من اجتهادات اللاهوتيين المسيحيين بعد وفاة المسيح بقرون؟

يـرى البـاقلانى أن القـول بـالتثليث عنـد " اليعقوبيـة" وسـائر فـرق النصـارى لـم يُقـل عـن طريـق النقـل فيفسـد النقـل وإنمـا جـاء عـن طريـق التأويل، واستدلوا عليه من عند أنفسهم وضربوا للحلول والإتحاد والجوهـر والأقانيم الأمثال وغلطت وأخطأت فى اجتهادها وتأويلها.[1]

(١) التمهيد فى الرد على الملاحقة المعطلة والرافضة الخـوارج والمعتزلـة صـ١٦٥ للبـاقلانى مرجع سابق.

ويؤكد هذا الرأى القاضى عبد الجبار حيث يرى أن "اليعقوبية" وغيرهم من فرق النصارى لم يسيئوا فهم الإنجيل فحسب وإنما تجاوزوه إلى تأويل بعض ما جاء فى التوراة.(١)

وفى رأيه أن الذى يمنع النصارى من إطلاق القول بأنها ثلاثة آلهة متغايرة مختلفة – وإن كانوا قد أعطوا معنى ذلك- أنهم صدقوا بكتب الله عز وجل التى صدق بها المسيح عليه السلام وهى مملوءة بتوحيد الله وتفرده بالقدم وإنه لا يشبه الأشياء، وإنما هذه البدع إبتدعوها بعد المسيح فأرادوا حمل بدعتهم فى الشرك على ما فى كتب الله فلم يتم ذلك وحصلوا على محصن الشرك والتشبيه.(٢)

وأيا ما يكن فإن النصارى على ضربين: قوم يجادلون بالمقاييس العقلية وقوم يذهبون إلى ظاهر الأناجيل وإلى التقليد لأسلافهم؛ فأما من ذهب إلى ظاهر الأناجيل فإنما تعلق بقول يحكى فى الأناجيل عن المسيح أنه قال:" انذروا الناس باسم الأب والابن والروح القدس الإله الواحد"(٣)

---

(١) تثبيت دلائل البنوة صـ١١٥ صـ١١٦ للقاضى عبد الجبار، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق صـ٩٥.

(٣) متى٢٨:٢٠ ونصها فى متى " فإذهبوا وتلمذوا جميع الأمم باسم الأب والابن والروح القدس "وهذا النص-نص متى- لايفيد أن الإله الخالق له أقانيم ثلاثة وكل ما بفيده أن الحواريين عليهم أن يدعوا إلى دين الله وهو الذى بلغة عيسى عن الله بواسطة الوحى "الروح القدس" فإن هذا النص على فرض صحة نسبته إلى عيسى عليه السلام لايستفاد منه عقيدة التثليث. ولكن واقع هذا النص أنه دخيل على الأنجيل الذى انزل على عيسى، لأنه حسب رواية متى لم يرد فى حياة عيسى، بل بعد وفاته-حسب اعتقاده- وقيامته من بين الأموات، كما يروى متى نفسه، فلو أن هذه العقيدة صحيحة أفلا كان يجب أن يدعو إليها فى بداية دعوته وحياته وقبل موته، ؟ بل كان من المفروض أن يدعو إليها موسى عليه السلام فى التوراة أيضاً باعتبار الأنجيل مكمل للتوراة وأن عيسى عليه السلام لم يأت بعقيدة جديدة بل إن كل العقائد والتى جاء بها الأنبياء والرسل واحدة وهى عبادة الله الواحد وعدم الإشراك به جل شأنه بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم. خير ماقلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله.

وليس فيه بيان أنها قديمة ولا محدثة ولا أنها جوهر واحد ولا غير ذلك، ولا فى الأنجيل لقطة تدل على "جوهر" ولأن أقنومات" وهذه لفظة فلسفية يونانية سقطت إلى القوم فتكلموا بها.(١)

لذلك فإن النظرية الثالوثية لا تستند إلى نص إلهى منزل(٢) وإنما هى عملية تأويلية بشرية متأخرة أسقطت على الكتب المقدسة تصورات غربية عنها، فهى فى نظرهم منافية للتوحيد الذى جاءت به هذه الكتب المقدسة، ولكن النصارى لم يكونوا يرغبون فى التنكر لها فوقعوا فى التناقض حيث أرادوا أن يجمعوا بين الوحدانية والتثليث بل وقعوا فى الشرك، ولذلك اعتبرت عقيدتهم تلك بدعة ينطبق عليها ما ينطبق على البدع عامة، لاسيما وهى متعلقة بالألوهية ذاتها لا بفرع من فروع الدين.

من هذا كله يفهم أن المسيحيين على اختلافهم وعلى رأسهم اليعقوبية يعتقدون أن فى اللاهوت ثلاثة يعبدون -فالله فى نظرهم ذات واحدة مثلثة الأقانيم أقنوم الأب، وأقنوم الابن، وأقنوم الروح القدس- وعباراتهم تفيد بمقتضاها أنهم متغايرون وإن اتحدوا فى الجوهر والقدم والصفات، والتشابه بينهم كامل، ولكن كتابهم يحاولون أن يجعلوهم جميعاً أقانيم لشئ واحد، وبعبارة صريحة يحاولون الجمع بين الوحدانية والتثليث، ولكن عند هذه المحاولة تستغلق فكرة التثليث وتصير بعيدة عن التصور العقلى، كما أنها فى ذاتها مستحيلة التصديق، وأن كُتابهم أنفسهم يعتقدون أنها بعيدة التصور عند إجراء هذه المحاولة؛ لأن من أصعب الأشياء الجمع بين الوحدانية والتثليث.(٣)

---

(١) الكتاب الأوسط فى المقالات صـ٨٢ للناشئ الأكبر. مرجع سابق.

(٢) وسوف نورد ما أعتمدوا عليه من نصوص ظنوا أنها تؤيد قولهم بالتثليث ونرد عليه.

(٣) محاضرات فى النصرانية صـ١٠٣ ، مرجع سابق.

وإليك بعض النصوص التى توضح لنا مدى أستغلاق فكرة التثليث عند القائلين بها من النصارى:-

فنرى القس"بوطر" صاحب رسالة الأصول والفروع بعد بيانه عقيدة التثليث لدى النصارى يؤكد عجز العقول عن الوقوف على حقيقة الجمع بين الوحدانية والتثليث فى الدنيا وأن مآل ذلك يكون فى الآخرة فقط فيقول: " قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا، ونرجو أن نفهمه فهماً أكثر جلاءً فى المستقبل، حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما فى السموات والأرض، وأما فى الوقت الحاضر ففى القدر الذى فهمناه كفاية".(١)

ويقول زكى شنودة : وقد عرف المسيحيون من السيد المسيح أن الله واحد فى ثلاثة أقانيم، هم الأب والابن والروح القدس وأن هذه الأقانيم الإلهية هى طبيعة واحدة وذات واحدة وجوهر واحد منزه عن التأليف والتركيب وهذه حقيقة تفوق الإدراك البشرى..."(٢)

وفى حين يقول "الفس" توفيق جيد فى كتابه "سر الأول" إن تسمية الثالوث باسم الأب والابن والروح القدس، تعتبر أعماقاً إلهية وأسراراً سماوية لا يجوز لنا أن نتفلسف فى تفكيكها وتحليلها أو نلصق بها أفكاراً من عندياتنا".

فإن القص إبراهيم إبراهيم فى كتابه "التثليث والتوحيد" يقدم تفسيراً لذلك فيقول: " إن الله الأب قائم بذاته ناطق بخاصية الأبن الذى هو النطق حى بخاصية الحياة التى هى الروح القدس... والله الابن قائم بخاصية

(١) نقلاً عن المرجع السابق صـ١٠٣.

(٢) تاريخ الأقباط ط /٢٠٤، مرجع سابق.

الذات الذى هو الأب.... ناطق بخاصيته هو.... حى بخاصية الحياة التى هى الروح القدس... والله الروح القدس قائم بخاصية الذات الذى هو الأب... ناطق بخاصية النطق الذى هو الأبن.... حى بخاصيته هو التى هى الحياة ..." (١)

ويطالعنا القس " بولس إلياس اليسوعى" بمحاولة لإزالة الالتباس والغموض الذى يكتنف عقيدة التثليث بل نجده أكثر جرأة من غيره حيث يجعل التثليث ضرورة عقلية لذلك فهو يسوق كلامه على هيئة مقدمات منطقية- على حسب فهمه- ثم يتبع هذه المقدمات بالنتائج، وهى- وإن كانت عربة عن المنطق بل هى خرافة تنم عن تفاهة قائلها- إلا أننا بحاجة إليها حتى نتعرف على بعض صور الخداع العقلى والتشويه الفكرى الذى يزين لصاحبه الباطل حقاً.

يقول هذا القس:(من الناس من يقولون: لم ياترى إله واحد فى ثلاثة أقانيم؟ أو ليس من تعدد الأقانيم إنتقاص لقدر الله؟ أو ليس من الأفضل أن يقال الله واحد فحسب؟...

ولكننا إذا أطلعنا على كنه الله لا يسعنا إلا القول بالتثليث. وكنه الله محبة ولا يمكن إلا أن يكون محبة ليكون سعيداً فالمحبة هى مصدر سعادة الله... والمحبة تفترض شخصين على الأقل يتحابان بحيث يندفع المحب إلى من يحبه محبة تكون فيها سعادتهما ولكى يكون إلهاً سعيداً، كان عليه أن يهب ذاته شخصاً آخر يجد فيه سعادته، ولهذا ولد الله الأبن منذ الأزل نتيجة لحبه إياه ووهبه ذاته، ووجد فيه سعادته ومنتهى

(١) نقلاً عن نصرانية عيسى عليه السلام ومسيحية بولس صـ١٨٦ -صـ١٨٧ صلاح العجماوى طبعة الإسكندرية١٩٨٩م.

رغباته،.. وثمرة هذه المحبة المتبادلة بين الابن والأب تولدت منها الروح القدس".[1]

أنظر إلى هذا القسيس الذى أحاط علماً بحقيقة الله وكنهه، فيخبرنا بها ويصورها لنا على أنه منذ الأزل محتاج إلى من يحبه حتى يكون سعيداً ولذا ولد الأبن ومن محبته لهذا الابن تولد الروح القدس.

فلماذا أختار الله تعالى هذا الأبن بالذات دون غيره، وفى هذا التوقيت من عمر الزمان دون غيره من الأزمان، انظر إلى هذه الجرأة على الله تعالى وعدم إلتزام التأدب مع الحضرة الإلهية، وتبين الفرق الكبير بين ما يقوله هذا القس وأمثاله وما يقوله موسى عليه السلام حينما سأله فرعون عن كنه الله وحقيقته، فأجاب موسى ببيان الاء الله ونعمه على خلقه تأدباً مع الحضرة الإلهية وهذا ما حكاه القرآن الكريم فى سورة (طه).

" قال فمن ربكما يا موسى. قال رُبنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى"[2] .

وقد أمرنا رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بالا نتفكر فى ذات الله وماهيته بل نتفكر فى آلائه ونعمه. قال صلى الله عليه وسلم" تفكروا فى آلاء الله ولاتفكروا فى ذاته".

---

(١) القس بولس إلياس اليسوعى-يسوع المسيح صـ٧٦،٧٧ نقلا عن كتاب الله واحد أم ثالوث لمجدى مرجان صـ١٧. دار النهضة العربية.

(٢) الآيتان ٤٨،٤٩.

فإذا كان هذا هو موقف رسل الله تعالى من خالقهم وبارئهم فكيف يتثنى لهذا القس ومن على شاكلته أن يلوى الكلام لتبرير فكرة ما، فالحب كما هو ميزة مفضلة، فهو أيضاً سوءة مبغضه، فالمحب يتغاضى دائماً عن سوءات حبيبه، فلا يرى فى نقائصه إلا الكمال، ولا يرى فى دمامته إلا الجمال، وهو بهذا العمل ينحرف عن قول الحق وتحرى العدل فى كل ما يتعلق بحبيبه، فالحب بين شخصين يريم على البصر غشاوة فلا ترى إلا مايراه المحب..، ولا يحكم إلا بمنطقه، فأن الحق والعدل فى هذا مع أنهما من أبرز صفات الله تعالى، ثم هل لله تعالى رغبات؟ والرغبة شهوة تلح على صاحبها حتى يتحقق له ما يريد، فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فهو-جل شأنه- يفعل ما يشاء ويختار، وهو فعّال لما يريد.

هذه هى عقيدة التثليث التى يؤمن بها النصارى بصفة عامة، وهم الذين يصدق فيهم قول الحق :" لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلّا إله واحد"(١).

***موقف اليعقوبية من عقيدة التثليث:**

تذهب اليعقوبية كغيرها من فرق النصارى إلى القول بثلاثة أقانيم مع الإختلاف فى طبيعة هذه الأقانيم وطبيعة علاقة بعضها ببعض فالملكية يذهبون إلى أن القديم جوهر واحد ذو ثلاثة أقانيم، وأن الأقانيم هى الجوهر والجوهر غير الأقانيم ولم يثبتوه - الجوهر- رابعاً لها فى العدد.

(١) سورة المائدة من الاية٧٣.

أما اليعقوبية ومعهم النسطورية : فيزعمون أن القديم جوهر واحد أقانيم ثلاثة إلا أنهم لا يفرقون بين الجوهر والأقانيم بل يرون أن الأقانيم الثلاثة هى الجوهر الواحد وأن الجوهر الواحد هو الأقانيم الثلاثة.![1]

وقد أنبرى للرد على هذه العقيدة الفاسدة كثير من المفكرين الإسلاميين أمثال أبى عيسى الوراق والقاسم الحسنى والقاضى عبد الجبار والباقلانى وابن تيمية وابن حزم وغيرهم كثيرون. غير أنه لم تحظ مقالة اليعقوبية والنسطورية والتى تطابق بين الجوهر والأقانيم كما نقل عنهم أبو عيسى الوراق والباقلانى – بنفس العناية التى خظيت بها مقالة "الملكية" ولعل التشدد فى الرد على الملكانية هو كما يراه "آبيل" الدور الرئيسى الذى لعبوه فى الجدل المسيحى الإسلامى، ولكن ربما كانت وضعيتهم السياسية بإعتبارهم اتباع الملك كانت من أسباب تلك الشدة تجاههم حيث كان مذهبهم هو المذهب الرسمى للإمبراطورية البيزنطية، وكون عقيدتهم هى العقيدة السائدة عند أغلب النصارى.

وهذا إنما يدل على مدى وعى المفكرين الإسلاميين بحقيقة ميزان القوى داخل الكنائس المسيحية، غير أن اليعقوبيين والنسطوريين قد حظوا باهتمام كبير من قبل مفكرى الإسلام نظراً لأنهم كانوا ممثلين بكثافة فى البلاد الإسلامية فى مصر والشام والعراق وبعض بلاد الحجاز.[2]

---

(١) وقد ذهب يحيى بن عدى- مسيحى على مذهب اليعقوبية وأحد كتابهم -فى رده على أبى عيسى الوراق إلى أن هذا القول هو بالفعل مذهب اليعقوبية والنسطورية. راجع: وتبيين غلط محمد بن هارون المعروف بأبى عيسى الوراق. ليحيى بن عدى (مخطوط) نقلاً عن الفكر الإسلامى فى الرد على النصارى صـ٢٠٠. مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق صـ٢٤٧.

وقد وصف القاضى عبد الجبار قول اليعقوبية بأن "الجوهر هو الأقانيم هى الجوهر" بأن فيه تناقض؛ لأن القول فى الشئ إنه واحد يقتضى أن فى الوجه الذى صار واحداً لا يتجزأ ولا يتبعض، وقولنا ثلاثة يقتضى أنه يّجزئ، والقول بأنه واحد ثلاثة أقانيم يساوى فى التناقض أن يقال فى الشئ إنه موجود معدوم أو قديم حديث.(١)

كما رد عليهم أبو عيسى الوراق وركز حججه أيضاً على التناقض الموجود فى المطابقة بين شيئين أحدهما غير مختلف، وهو الجوهر والثانى مختلف وهو الأقانيم، وبيّن فى البداية أن اختلاف الأقانيم فى الأشخاص وفى الخواص لا فى الجوهرية لايعصمهم من هذا التناقض.

كما أن اختلافهما إن كان اختلافاً للجوهر فى خواصة، يؤديهم إلى كون الجوهر مختلفاً أو إلى أن الجوهر غير الأقانيم، وهذا خلاف لما ذهبوا إليه من القول بأن الجوهر هو الأقانيم والأقانيم هى الجوهر.

أما الباقلانى فقد خصص للرد على اليعقوبية والنسطورية فقرة أستدرجهم فيها بصفة تصاعدية وحسب طرق الجدل المعروفة إلى أن وصل إلى النتيجة التى وصل إليها الوراق قبله وهى تناقض ما ذهبوا إليه من مطابقة الجوهر للأقانيم فيقول:" فإن قالت اليعقوبية والنسطورية" ليس الجوهر بغير الأقانيم، قيل لهم: أفليس الجوهر غير مختلف من حيث كان جوهراً ومن حيث لم يكن معدوداً ومن حيث لم يكن خواص متباينة المعنى؟، فإن قالوا: أجل -وهو قولهم- قيل لهم: فإذا كان الجوهر هو الأقانيم والأقانيم مختلفة معدودة متباينة فى الإختصاص ... فيجب أن

(١) شرح الأصول الخمسة صـ٢٩٢. مرجع سابق.

يكون نفس الجوهر الـذى ليس بمعدود ولا مختلف ولا متحد ولا متباين المعنى هو نفس المختلف المعدود [١] وهذا ظاهر التناقض والبطلان.

ويختتم الباقلانى فى كلامه بفقرة تتعلق بألوهية الأقانيم عند الفرق الثلاث فيقول:" وكذلك يقال لهم أى الملكية واليعقوبية والنسطورية فى قولهم (إن الأب إله، وإن الابن إله، وإن الروح إله وهم مع ذلك واحد، أنه إذا كان كل واحد منهم إلهاً منهم ثلاثة ألهة، فلا معنى لقولهم "إله واحد" وهم قد جعلوا الإلهية لكل واحد منهم.[٢]

ومما يُرد به أيضاً أن يقال لهم هل التسمية بهذه الأسماء (الأب والابن والروح القدس) تسمية بأسماء طبيعية ذاتيه جوهرية أم هى أسماء شخصية أقنومية أم أنها أسماء حادثة عرضية؟ فإن كانت التسمية بالأب لأنه ولد ولداً وابنا فليست هذه الأسماء أسماء طبيعية ذاتية ولا أسماء أيضاً أقنومية شخصية، ولكنها حادثة عرضية عرضت عند حدوث أولادبين الوالدين والأولاد، وليس فى الأسماء الطبيعية ولا فى الأسماء الشخصية الأقنومية أبوة ولا بنوة ولا أفعال ولا قوة إنما هى أسماء تدل على الأعيان كالإنسانية التى تدل على الإنسان.[٣]

مما يدل على التناقض اعتبار الأقانيم الإلهية دالة على ذات الله من جهة ثم نعتها بالأعراض كالأبوة والبنوة من جهة أخرى ثم القول بثلاثة أقانيم يقتضى التركيب وهذا دليل الحدوث، وهو مما ينافى وينـاقض الألوهية لأن الإله قديم وليس بحادث.

---

(١) التمهيد صـ٨١،صـ٨٢ للباقلانى. مرجع سابق.

(٢) التمهيد للباقلانى صـ٨٣ مرجع سابق.

(٣) الرد على النصارى صـ١٨،١٩ للحسنى . مرجع سابق.

والقول بأن المسيح عيسى عليه السلام- على يمين أبيه يقتضى التعدد فكيف تقولون إنه جوهر واحد ؟ [1] والقول بأن " ثلاثة واحد وواحد ثلاثة" خطأ لأنهم إن كانوا يريدون بقولهم هذا ثلاثة هى واحد وواحد هو ثلاثة بالعدد فهو إذن جزء لذاته، وإذا كانوا يعنون بالثلاثة أشخاص وبالواحد نوعاً لها؛ فإن هذا يقتضى التركيب فى الأقانيم الثلاثة والجوهر العام لها.

وإن كانوا عنوا بالثلاثة أنواعاً وبالواحد جنساً وجب فى ذلك التركيب والتكثير وأنها أزلية لا أزلية وهذا من أشنع المحال.

مناقشة أدلة اليعقوبية على القول بالتثليث:

لقد حاولت اليعقوبية وغيرها من فرق النصارى الخروج من هذا التناقض ولكنهم عجزوا عن ذلك لتهافت أدلتهم:

١- فمثلا لجأوا إلى تشبيه وحدانية الله وثالوثيته بالشمس والإنسان فيما نقله عنهم القاسم بن إبراهيم الحسنى فى رده على النصارى قال حاكياً عنهم:

" إن هذا الواحد فى الطبيعة ثلاثة فى الأشخاص المتفرقة، وذلك كالشمس فيما يدرك منها بالحس التى هى شمس واحدة فى كمالها وذاتها، وثلاثة متغايرة فى حالها وصفاتها كل واحد منها غير الآخر فى شخصه وصفته وإن كان هو هو فى ذاته وطبيعته.

---

(١) الجواب الصحيح ٤/١٥٨-١٥٩ مرجع سابق.

فمن ذلك -زعموا- أن الشمس فى عينها كالأب، وضوؤها فيها كالابن وحرّها منها كالروح، ثم هى بعد وإن كانت لها هذه العدة فشمس واحدة لا يشك فيها أحد فى وحدتها، لأن الشمس إن فارقها ضوؤها لم تدع شمساً وكذا إن فارقها حرها لم تدع أيضاً شمساً، وإنما تسمى الشمس شمساً وتدعى إذا كان هذا كل فيها مجتمعاً.(١)

وقد أجاب عن هذا التشبيه الحسن بن أيوب والقاضى عبد الجبار حيث يقول الحسن بن أيوب: فى احتجاجهم بالشمس وأنها شئ واحد له ثلاث معان" فإن ذلك تمويه لا يصح لأن نور الشمس لا يحد بحد الشمس وكذلك نورها لا يحد بحد الشمس إذا كان حد الشمس جسماً مستديراً مضيئاً مسخناً دائراً فى وسط الافلاك دوراناً دائماً(٢) ولا يتهيأ أن يحد نورها وحرها بمثل هذه الصفة... ولو كان نورها وحرها شمساً حقاً من شمس حق من جوهر الشمس كما قالت " الشريعة" فى المسيح إنه إله حق من إله حق من جوهر أبيه لكان ما قلتم له مثلاً تماماً، والأمر مخالف لذلك فلا يشبهه ولا يقع القياس عليه والحجة منكم فيه باطله.(٣)

أما القاضى عبد الجبار فقال رده على هذا التشبيه،" وهذا بعيد لأن ضياء الشمس غير الشمس وصفته تخالف صفته وبعضه غير بعض وذلك لا يصح عندهم فى الأقانيم"(٤) حيث إنهم لا يفرقون بين الجوهر الأقانيم، وأنه لافرق بين الأقانيم بعضه البعض.

---

(١) الرد على النصارى صـ١٥ للقاسم ابن إبراهيم الحسنى. مرجع سابق.

(٢) وكان هذا حسب المعلومات التى توفرت لديهم فى ذاك الوقت والتى تعتبر الأرض مركز الكون وأن الشمس تدور حولها قبل اكتشاف كوبر نيكوس المركزية الشمس ودوران الأرض حولها راجع الفكر الإسلامى صـ٢٢٢ إعداوا لجنة من أساتذ الفكر الإسلامى جامعة الإمارات ١٩٩٦م.

(٣) الجواب الصحيح جزء٢ صفحة ٣٣٠.

(٤) المغنى ١٠٣/٥ مرجع سابق.

٢- واستدلوا على أن تعدد الأقانيم غير متعارض مع التوحيد بأن الإنسان يكون حياً ناطقاً مائتاً دون أن يفيد ذلك أنه ثلاثة أناس، وهذا التمثيل كما بين القاضى عبد الجبار فى المغنى- فى غير محله لأن فيه قياس القديم على المحدث واعتبار الله " مبنياً بنية مخصوصة" بالإضافة إلى أن هذا التمثيل لا يستقيم إلا متى كانت كل من صفتى الحياة والنطق إنساناً كما أن كلا من أقنوم الابن والروح إله.(١)

٣- كما أستدلوا على قولهم فى التثليث والمماثلة بين الجوهر الواحد والأقانيم الثلاثة بالعشرة الواحدة والأحاد الكثيرة أو الإنسان الواحد والأبعاض الكثيرة ...(٢)

وقد أورد الباقلانى فى تمثيلهم للجوهر والأقانيم بالإنسان ويده، والعشرة والواحد فيها، وصوره أيضاً بالقصيدة والبيت فيها، وبالسورة والآية فيها، ورد ذلك كله بأنه من المحال أن يكون الشئ مثل نفسه وغيره أو خلاف نفسه وغيره، وقولنا "جوهر" ليس بواقع عندكم على الجوهر والأقانيم التى هى خواصه، ولا من أسماء الجمل فسقط ما سألتم عنه.(٣)

"واليعقوبيون" يسعون من خلال هذا التشبيه إلى البرهنه على أن تولد الأبن من الأب ليس كولاد المتناسلين ولكنه على نحو تولد الكلمة من العقل وحر النار من النار وضياء الشمس من السمش أى إنه لم يكن من طريق المباضعة والمزاوجة ولا يقتضى بالتالى تشبيهاً.

---

(١) راجع رد القاضى عبد الجبار بالتفصيل عن هذه الشبهة فى المغنى ٥/١٠٣،١٠٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) التمهيد صـ٨٥ للباقلانى مرجع سابق.

ويسجل الوراق أن النصارى يقرون بأن مريم ولدت المسيح ابن الله ولادة الناس المتناسلين لا من طريق المباضعة ولامن طريق المزاوجة.

وخلاصة القول أن مذهب "اليعقوبية" الذى يرى أن الجوهر هو الأقانيم والأقانيم هى الجوهر مذهب فيه تناقض لأنه يطابق بين شيئين أحدهما غير مختلف وهو جوهر والثانى مختلف وهو الأقانيم وقولهم إن إختلاف الأقانيم فى الأشخاص وفى الخواص لافى الجوهرية -كما قلنا- لا يعصمهم من هذا التناقض كما أن إختلافها إن كان اختلافاً للجوهر فى خواصه يؤديهم إلى كون الجوهر مختلفاً أو إلى أن الجوهر غير الأقانيم وهذا بدوره إبطال التثليث.[1]

(١) الرد على النصارى ١٤/٢ للوراق مرجع سابق.

المسألة الثالثة:

عقيدة الصلب والفداء

تعد قضية " صلب المسيح وفدائه بنى البشر من أهم قضايا العقيدة النصرانية بل أنها الأساس الذى تدور حوله عقيدتهم، حيث يرون أن مسألة البنوة والتأليه علة لمسألة الصلب.

وهذه القضية لم تكتسب أهميتها من أنها جريمة قتل وقعت على نبى من من أنبياء الله، فكثير من الأنبياء - خاصة أنبياء بنى إسرائيل - قد خرجوا من هذه الدنيا نتيجة لهذه الجريمة.

ولو كان المسيح عليه السلام صلب حقيقة لما كان ذلك أمراً فوق الإمكان، لأن كثيرين من الأنبياء قتلوا بيد اليهود كزكريا ويحيى وحزقيال وغيرهم.

ولكن الأهمية التى اكتسبتها هذه القضية جاءت من جعلهم مسألة الصلب أساساً يقوم عليها دين، وتتبنى عليها عقيدة، فعقيدتهم فى صلب المسيح كانت أساساً وبداية لجعله إلهاً، وأساساً للتثليث، وأساساً لإتخاذ الصليب رمزاً مقدساً للنصرانية كلها كدين، وجعلوا الصليب الذى يعتقدون أن المسيح صلب عليه رمزاً مقدساً عندهم، وهو رمز التثليث، وهو كذلك رمز للمذبح الذى ذبح عليه المعصوم، وهو أيضاً رمز لأكبر فاجعة وقعت فى تاريخ البشرية - فى زعمهم- وهو كذلك أساس الكنيسة وعماد الأنجيل ورمز الحياة الأبدية.[1]

---

(١) الأنجيل والصليب صـ٦ عبد الأحد داود نقلاً عن دراسات فى النصرانية د. محمود مزروعة.صـ١١١.

لقد كانت النهاية المأسوية لحياة المسيح نقطة الإنطلاق لعملية تأويلية واسعة النطاق سعت لتبرير كل الأحداث التى حفَت ببشارته فى السنوات الثلاث الأخيرة من عمره القصير، وبصفة خاصة الأحداث السابقة مباشرة لمحاكمته وصلبه، ولهذا السبب ارتبط الإعتقاد بأن تعرض المسيح لهذا الموت الشنيع كان رغبة منه فى فداء الجنس البشرى من الخطيئة التى ارتكبها آدم فى حق الله بأكله من الشجرة التى نهى عنها، بالاعتقاد فى ألوهيته وفى علاقته الفريدة بالله، ووجد هذا الاعتقاد صيغته النهائية فى قانون " نيقية" الذى نص على أنه:" من أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس.. وأخذ وصلب وقتل أمام " بيلاطس" ومات ودفن وقام فى اليوم الثالث كما هو مكتوب..."

اليعقوبية وعقيدة الصلب:

اتفقت اليعقوبية وسائر فرق النصارى على أن المسيح عليه السلام قتل وصلب واختلفوا فى هوية المقتول أو بعبارة أخرى فيمن وقع عليه القتل والصلب هل هو المسيح من ناحية ناسوته فقط وهذا ما ذهبت إليه النسطورية أو المسيح بكماله أعنى بلاهوته وناسوته وهو ما ذهبت إليه الملكانية، واليعقوبية، بل إن الأخيرة بالغت فى القول فزعم أكثرهم أن الذى صلب هو الإله.

يقول القاضى عبد الجبار فى هذا الصدد:" واختلفوا فى الصلب والقتل بعد اتفاقهم على أن المسيح قتل وصلب، فزعمت النسطورية أن الصلب وقع على المسيح من جهة ناسوته، لا من جهة لاهوته، وزعم أكثر الملكانية أن الصلب وقع على المسيح بكامله، والمسيح هو اللاهوت

والناسوت [1] ، وزعم أكثر اليعقوبية أن الصلب والقتل وقعاً فى الجوهر الواحد الكائن من الجوهرين اللذين هما الإله والإنسان وهو المسيح على الحقيقة وهو الإله، وبه جلت الآلام.[2]

وهذا الإختلاف فى من وقع عليه القتل والصلب عند فرق النصارى جعل منه المسلمون أدلة إضافية لما يؤمنون به من أن النصارى يجهلون أمر المسيح، ولولا هذا الجهل لما اختلفوا فيه، أما ما ورد فى القرآن الكريم من شأنه فهو علم يقينى وحجة برهانية، لما له من سلطان إلهى لا يمكن أن يقارن فى صحته وشموله بالمعرفة البشرية المحدودة التى اعتمد عليها النصارى والتى قرروا فيها أن المسيح قتل وصلب، وادعوا أن الأمر معلوم بالمعاينة والمشاهدة وإنهم قد تلقوا ذلك جماعات عن جماعات، وأمم عن أمم!! فأين هذا الإجماع وواقعهم يؤكد اختلافهم فى ذلك؟

---

(١) كذلك يرى الشهرستانى أن الملكانية تقول إن القتل وقع على الجوهر الذى هو من جوهرين جـ٢/٥٥ ونسب إليهم الحسن ابن أيوب فى الجواب الصحيح ٢/٣١٥ كلاماً يختلف مع ما ذكره القاضى عبد الجبار والشهرستانى حيث نقل عنها قولها : إن المسيح – وهو أسم يجمع اللاهوت والناسوت–مات وقالوا إن الله لم يمت والذى ولدت مريم قد مات بجوهر ناسوته.

(٢) المغنى ٥/٨٤ وقارن بما قاله الشهرستانى نقلاً عنهم من أن " القتل وقع على الجوهر الذى هو من جوهرين قالوا: ولو وقع القتل على أحدهما لبطل الإتحاد " الملل والنحل ٢/٥٥ مرجع سابق وأيضاً ما قاله الحسن بن أيوب عن اليعقوبية " أن الله فى زعمهم مات وألم وصلب متجسداً ودفن وقام من بين الأموات وصعد إلى السماء" الجواب الصحيح ٢/٣١٥،٣١٦.

مناقشة عقيدة الصلب والفداء عند اليعقوبية:

اتضح من الدراسة السابقة أن اليعقوبية هى أكثر الفرق المسيحية إخلاصاً لقانون "الإيمان" الذى أقر فى مؤتمر "نيقية" بل إنهم وصلوا معه إلى أقصى درجات الكفر والخروج عن مقتضى العقل حيث زعم أكثرهم إن مريم ولدت إلهاً فالمسيح فى نظرهم هو الله وهو جوهرين ناسوتى ولاهوتى، اتحد الناسوت باللاهوت فصارا شيئاً واحداً وهو الإله فالمسيح- فى زعمهم - هو الله -بل هو هو، وأنه مات وصلب ودفن- تعالى الله عن كفرهم علواً كبيراً.

لذلك فإن هذا الرد سيكون موجهاً إلى اليعقوبية بصفة خاصة وإلى النصارى بصفة عامة وأنه من وجهين:

أولاً: بيان التناقض بين الإيمان بعقيدة الصلب والقول بألوهية المسيح.

ثانياً: بيان ما فى عقيدة الصلب والفداء من تهافت يدل على أنها من إختراع أصحاب الأناجيل والقائمين على الديانة المسيحية، وأنها ليس لها أى أساس شرعى.

أولاً: بيان ما فى عقيدة الصلب من تناقض مع القول بألوهية المسيح وعقيدة التجسد فقد وجهه المفكرون الإسلاميون النقد إلى عقيدة الصلب لدى النصارى من حيث كونها مناقضه لعقيدة التجسد والإتحاد فنجد صاحب الكتاب الأوسط فى المقالات يبين مدى التناقض فى القول بالصلب مع القول بألوهية المسيح مهما كانت الجهة التى مات بها ومهما كانت الاختلافات بين الفرق النصرانية فى شأنه سواء أكان بالناسوت فقط أم باللاهوت أو بهما معاً فيقول:" والذين زعموا أن البارى جل عما قالوا -قتل وصلب ودفن،[1] إن لم يدلّوا بهذا القول

(١) ولعله يقصد بهولاء اليعقوبية والملكانية.

على أن البارئ قد ناله من ذلك ماينال من فعل به مثل ذلك، فلا وجه لإطلاق القول، وإن دلّوا على ذلك فغير مشكوك فى أن من مات فقد بطل ودثر، والآزلى لا يجوز عليه ذلك.

"والذين قالوا إن المسيح جوهران وأقنومان ليقسموا كلامهم فيقولون (مات من جهة ناسوته[1] ولم يمت من جهة لاهوته) لا يخرجون بما فعلوه مما يلزم أصحابهم، لأنه إذا كان المسيح هو البارى والعبد جميعاً فسواء أكانا جوهرين أو تركّبا جوهراً واحداً فالقول إن المسيح قد مات يوجب أنهما جميعاً اللذان لحقهما الموت.

إن شاؤا كان واحداً وإن شاؤا كانا أثنين[2] ففى كلتا الحالتين وقع الموت عليه فيلزمهم ما لزم أصحابهم من أن الله قد مات وهذا يتناقض مع كون الأزلى لا يموت ولا يلحقه الفناء لأن الأزلى هو مالا أول لوجود وما ليس له أولا ليس له آخر. فكلامهم فاسد.

أما الحسن ابن أيوب فيربط فى رده على عقيدة الصلب بين الصلب وبين ولادة مريم للإله مبيناً مدى اشمئزازه من هذه المقوله ولعله يقصد بهؤلاء "اليعقوبية والملكانية" حيث أنهم يذهبون إلى أن مريم هى والدة الإله تعالى الله عما يقولون يقول ابن أيوب إن قلتم إن المقتول (المصلوب هو الله) فمريم على قولكم ولدت الله -سبحانه وتعالى عما يقولون- وإن قلتم إنه إنسان فمريم ولدت إنساناً، وفى ذلك أجمع بطلان شريعة إيمانكم" ثم يستنكر ما ينسبونه إليه من حبس وضرب وقذف وصلب وقتل.

---

(١) ويقصد بهم النسطورية.

(٢) الناشئ الأكبر صـ٨٣،٨٤ مرجع سابق.

على أساس منافاة ذلك لصفة المسيح الإلهية وهو ما لا يقبله العقل فيقول :" فهل تقبل العقول ما يقولون من أن إلهاً نال عباده منه مثل ما تذكرون أنه ينل منه؟

فإن تأولتم أن ذلك حل بالجسم – قيل لكم أفليس قد وقع بجسم توحدت اللاهوتيه به وحلت الروح فيه، وقد انتخبه الله على ما تزعمون وتصفون لخلاص الخلق، وفوّض إليه القضاء بين العباد فى اليوم الذى يجتمع فيه الأولون والآخرون للحساب؟" (١)

ولذلك نجد أن القاضى عبد الجبار يسخر "عقيدتهم هذه ويقول:"عجباً لإله يضرب على رأسه أو تعالوا فانظروا إلى الإله يلطم ويضرب على رأسه"(٢).

أما الباقلانى فإنه يفتتح رده عليهم بتساؤل عن مصير الإتحاد – الذى اعتقدوه فى المسيح وهو إتحاد اللاهوت بالناسوت– زمن القتل، مبيناً أن موت المسيح وصلبه يؤدى إلى فساد عقيدتهم سواء أكان الإتحاد "باقياً موجوداً" أو أنه "بطل وفسد عند القتل والصلب".

يقول الباقلانى:" ويقال لجميعهم –النصارى– خبرونا عن إتحاد الابن بالجسد أكان باقياً موجوداً فى حال وقوع القتل والصلب أم لا؟

أ– فإن قالوا: كان باقياً موجوداً، قيل لهم: فالذى مات مسيح من طبيعتين؛ لاهوت هو الابن وناسوت هو الجسد– فيجب أن يكون ابن الله القديم قد مات كما قتل وصلب، لأن جواز القتل والصلب عليه كجواز الموت، وإذا صار الابن عند القتل ميتاً لم يجز أن يكون فى تلك الحال إلهاً؛ لأن الإله لا يكون ميتاً ولا ناقصاً ولاممن يجوز عليه الموت.

---

(١) الجواب الصحيح ٢/٣١٩، ٣٢٠ مرجع سابق.

(٢) تثبيت دلائل النبوة صـ١٠٤ مرجع سابق.

ولو جاز ذلك عليه لجاز موت الأب والروح وهذا ترك قولهم.

ب- "وإن قالوا: إن الاتحاد بطل عند القتل والصلب، قيل لهم: فيجب انتقاض الاتحاد عند القتل والصلب، وهذا ترك قولهم.

ويجب أيضاً ألا يكون المقتول مسيحاً لأن الجسد عند انتقاض الاتحاد ومفارقة المتحد ليس بمسيح، وإنما يكون الجسد وما اتحد به مسيحاً مع ثبوت الإتحاد ووجوده.

فإذا بطل -الإتحاد- كان المقتول المصلوب الواقع عليه الموت والدفن إنساناً ولا معنى لقولهم إن المسيح قتل وصلب" لأن المسيح عبارة عن الجسد وما اتحد به وهو الابن، فإذا بطل الإتحاد بطل أن يكون المسيح قد وقع عليه الصلب والقتل إذاً عقيدتكم فى الصلب فاسدة.

وبهذا يتبين أن عقيدة الصلب عند اليعقوبية بصفة خاصة، والنصارى بصفة عامة لا تتفق مع عقيدة التجسد والإتحاد والقول بألوهية المسيح وهى من أهم عقائدهم فبثبوت إحداهما بطل ثبوت الأخرى فأى العقيدتين يختاروا... القول بألوهية المسيح وعقيدة التجسد أم بالصلب والفداء؟

ثانياً: بيان تهافت عقيدة الصلب والفداء:

يحسن بنا أن نفتتح كلامنا فى بيان تهافت هذه العقيدة بأن نشير إلى أنها لا أساس لها -كغيرها من العقائد المسيحية من القول بألوهية المسيح، وعقيدة التثليث- فى الدين الذى أتى به عيسى عليه السلام، بل هى من اختراع بولس الذى يعده المؤرخون للفكر المسيحى الواضع الحقيقى للديانة المسيحية وذلك بما أعلنه الأب بولس إلياس الخورى من أن بولس هو مبتدع فكرة الصلب والفداء هذه وأنه قد حمل هو وتلميذه الحبيب لوقا لواء الدعاية لها، وهذا ما بينته كلمات هذا الباحث المسيحى

حيث قال:"ومما لا ريب فيه أن الفكرة الأساسية التى ملكت على بولس مشاعره فعبر عنها فى رسائله بأساليب مختلفة هى فكرة رفق الله بالبشر، هذا الرفق بهم هو ما حمله على إقالتهم من عثارهم، فأرسل إليهم إبنه الوحيد ليفتديهم على الصليب، وينتقل بهم من عهد الناموس الموسوى إلى عهد النعمة، وهذه الفكرة عينها هى التى هيمنت على انجيل لوقا".(١)

ونحن مع اعتقادنا بأن هذه الأفكار متهافته، وفلسفتها فاسدة ساذجة وتحمل بين طياتها أدلة فسادها، إلا أننا لا نرى بأساً فى أن نلمح بإيجاز إلى بعض نواحى الفساد فيها:

١- إدعاؤهم أن صلب المسيح كان لتحقيق العدل والرحمة، فأى عدل وأى رحمة فى تحمل برئ عقاب ذنب لم يرتكبه؟ وفى حالة قولهم إن المسيح هو الذى قبل ذلك فيقال لهم إن من يعذب بدنه أو يقتل نفسه فهو مذنب ولو كان يريد ذلك، ولا أدرى كيف سار عدل الله فى مجراه بعد أن صلب نبياً من أنبيائه، أو صلب إبنه أو صلب نفسه- حسب اعتقاد بعضهم- عن ذنب لم يرتكبه وإنما ارتكبه إنسان آخر هو آدم، منذ بدء الخلق!؟.

٢- إدعاؤهم أن ذرية آدم لزمهم العقاب بسبب خطيئة أبيهم آدم، ففى أى شرع يلتزم الأبناء بأخطاء الآباء والأجداد، خاصة وأن الكتاب المقدس ينص على أنه لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء.

---

(١) يسوع المسيح صـ٢٨، ٩٢، ٩٣ لبولس إلياس نقلاً عن المسيحية صـ١٥٧د.أحمد شلبى.

بل كل إنسان بخطيئته يقتل[1]، وهذا يتفق مع ما فى القرآن الكريم من قوله تعالى:"ولاتزر وازرة وزر أخرى".[2]

وقوله تعالى :" من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد"[3]

نعم إن منطق العقل يقضى أن يتحمل كل إنسان نتيجة عمله إن كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشر، ولنا المثل الأعلى والقدوة فى رسول الله حين قال لابنته:" أعملى يا فاطمة فإن آباك لن يغن عنك من الله شيئاً" وهكذا يتبرأ الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتحمل ذنب إبنته، فكيف يتحمل عيسى كل خطايا البشر؟

٣- إذا كان صلب المسيح برغبته هو ليخلص البشر من خطيئة أبيهم آدم ومن خطاياهم فلماذا يكره المسيحيون اليهود ويصفونهم بأنهم آثمين معتدين على المسيح.

٤- إذا كانت حكمة الله تعالى عن ذلك- قد أقتضت فداء الجنس البشرى حتى لا يخلد فى العذاب الأبدى- كما يزعمون- فلم لم يفعل ذلك منذ وقعت الخطيئة؟ ولماذا لم يبعث إبنه ليفدى البشرية منذ آدم أو بعد ألف أو ألفين أو ثلاثة؟ وما الحكمة فى انتظاره تعالى كل هذه المدة المديدة؟

---

(١) سفر التثنية ١٦:٢٤ ، وراجع حزقيال ٢١:١٨ ففيه :" الابن لا يحمل اثم أبيه والأب لا يحمل اثم الابن، وعدل العادل يكون عليه، ونفاق المنافق يكون عليه.

(٢) وردت هذه الآية فى أربع سور من القرآن الكريم وهى الأنعام من الآية ١٦٤، فاطر من الآية١٨، الأسراء من الآية ١٥، الزمر من الآية٧.

(٣) سورة فصلت الآية ٤٦.

وإذا كنا الآن على مشارف الألفية الثالثة من ميلاد المسيح فإن خطيئة آدم وقعت حسب العهد القديم الذى يؤمن به النصارى منذ ستة آلاف وأربع سنين ولم يبعث الإله بإبنه إلى البشرية ليفديها إلا منذ ألفى سنة، مما يعنى أن الإله انتظر أربعة آلاف سنة وأربع سنوات دون أن يبعث إبنه ليخلص العالم، فكأن الله- تعالى عن ذلك علواً كبيراً- ظل منذ عصيان آدم يفكر فى وسيلة يجمع بها بين عدله ورحمته فلم يهتد إلى ذلك إلا منذ ألفى سنة، وقد استغرق منه وضع هذه العملية نحو أربعة آلاف سنة وأربع سنوات.

٥- وإذا كان الكلمة قد تجسد لمحو خطيئة آدم-عليه السلام- فما هو حال الخطايا التى تحدث والذنوب التى ترتكب بعد ذلك؟

ويجيب عن هذا التساؤل القس بولس سباط قائلاً: إذا عاد الناس إلى إجتراح الخطايا فالذنب ذنبهم، لأنهم آنسوا النور وعشوا عنه مؤثرين الظلمة بإرادتهم.(١)

هكذا كان جواب هذا القس بكل بساطة ومعنى هذا أن خطيئة واحدة قد محاها صلب المسيح عليه السلام، وأن ملايين الخطايا سواها بقيت وجّدت بعد ذلك وسوف يحاسب الناس عليها، وبعض ما اقترفوه أكبر وأعظم من خطيئة آدم، فمنهم من انكر وجود الله، ومنهم من أشرك به، ومنهم من قتل أنبيائه ورسله..، فلماذا كانت مظاهرة التجسد لخطيئة واحدة وتُركت خطايا لا تقع تحت عدد؟(٢)

(١) المشرع صـ٤٤ نقلاً عن مقارنة الأديان (٢) المسيحية صـ١٦٠ د.أحمد شلبى، مرجع سابق.
(٢) المسيحية ١٦٠ د. أحمد شلبى.

٦- تناقض الأناجيل فى روايتها لحادث الصلب والقبض والمحاكمة فى أكثر من موضع نوجزها فى النقاط التالية:

أ- فى أسلوب القبض غير معروف.

ب-التهمة الموجهة إليه مختلف فيها.

جـ- الذين حضروا غير معروفين.

د- أسلوب المحاكمة غير معروف.[١]

ومما يؤدى إليه ذلك من التشكيك فى كل ما قالوا، وتحقيق قول الحق تعالى: " وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم"[٢]

٧- ومن المآخذ التى أخذت على النصارى فى عقيدة الصلب أيضاً، ذلك التناقض العام بين الصورة التى رسمها كتاب الأناجيل لعيسى قبل الصلب وأثنائه، وبين الصورة التى رسمها الأناجيل للهدف من رسالة عيسى بصفة عامة.

فبينما تخبرنا الأناجيل أن عيسى جاء لتحقيق هدف واحد وهو تخليص البشر من خطاياهم عن طريق سفك دمه والتضحية به، ومن هنا كان سفك دمه وصلبه هدفاً رئيساً لرسالته كما يزعمون.

---

(١) راجع هذا التناقض المتعدد فى روايات الأناجيل الأربعة فى كتاب مشكلات العقيدة النصرانية صـ١٦٠-١٦٢ . أ.د سعد الدين صالح ، مرجع سابق.

(٢) سورة النساء الآية ١٥٧.

فإن بعض الأناجيل قد صورت حال عيسى قبل الصلب وفى ثناياه وكأنه لا يعرف الهدف من رسالته حيث أوردت بعض الأناجيل (كانجيل متى)[1]حالة الرعب والحزن التى انتابته، وأنه كان يدعو ربه أن تعبر عنه ساعة الصلب، وينادى ربه بأعلى صوته لاتتركنى، فمعنى هذا أنه لم يكن متوافقاً مع الله فى موضوع الفداء الذى هو صميم رسالته.

فإذا كانت الأناجيل قد اختلفت وتناقضت فى تصويرها لهذا الحدث فلا بد من صدق بعضها وكذب البعض الآخر، فمن الصادق ومن غير الصادق لا يستطيع أحد أن يبين ذلك ومن ثم فالشك معلق بها جميعاً، مما يجعلنا نسقط من مجال الاستدلال، جرياً على القاعدة الأصولية "ما تطرق إليه الإحتمال سقط به الاستدلال، فكان علينا أن نبحث عن مصدر يقينى يفيدنا بالعلم القاطع والخبر الجازم فى هذه القضية، وليس أمامنا إلا كتاب الله تعالى وسنة رسوله: قال تعالى فى حق اليهود" فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق... وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا إتباع الظن وما قتلوه يقيناً، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً"[2]

---

(١) أنجيل متى ٢٧:٤٦.

(٢) سورة النساء الآيات١٥٥-١٥٨.

ففى الآية تقريران: الأول بيان الحقيقة للناس بأن المسيح لم يقتل ولم يصلب لكن الله ألقى شبهه على من دل عليه وهو" يَهوذا الإسخربوطى" فأخذوه وقتلوه وصلبوه[1] فالقرآن حق ولا ينطق إلا بالحق.

والثانى وهو إقامة الحجة على اليهود والتسجيل عليهم بأنهم كفروا بآيات الله وقتلوا الأنبياء، وحاولوا قتل المسيح عليه السلام ولكن الله نجاه من أيديهم " وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم".[2]

فالحق تبارك وتعالى أشار إلى واقعة الصلب ولم ينفها، بل أثبتها ولكن ليس المصلوب عيسى، فقد أثبتها بالنسبة لشبيه عيسى، ولو أن الصلب لم يكن حقيقة واقعة لنفاه القرآن أصلاً، ولما كان هناك ضرورة لإلقاء شبه عيسى على غيره، فالواقعة إذن حقيقية.

والله أعلم،،،،

---

(١) كما فى تصوير علماء المسلمين لقصة الصلب.

(٢) سورة النساء من الآية ١٥٧.

الخاتمـــة

بعد هذه الدراسة عن فرقة اليعقوبية ومعتقداتها. وما مهدنا بـه مـن الحديث عن المسيح عليه السلام وظروف نشأته وخصائص رسالته وما أحدثه بولس من إفساد وتحريف فى المسيحية،وأثر المجامع فى توجيه العقائد المسيحية ونشوء الفرق، واختلاف الفرق المسيحية فى طبيعة المسيح وفى مفهوم التثليث، وعلاقة الأقانيم بالجوهر. هل هى هو أم مختلفة عنه، واختلافهم فى هوية المصلوب والمقتول أى فيمن وقع القتل والصلب، وهل هو المسيح من ناحية ناسوته أو من ناحية لاهوته أو المسيح بكماله لاهوته وناسوته.

نقول:

إن ما ابتدعه بولس وأتباعه الذين يعتبرون أنفسهم أتباع المسيح من أحداث نظام لاهوتى كنسى لا دخل للمسيح فى تأسيسه-على النحو الذى عرف به وسبق وبيناه فى ثنايا البحث- حمل المسلمين على الرد عليهم فيما يتعلق بما أحدثوه فى هذه الديانة مستندين فى ردودهم إلى أن النظام الإسلامى نظام إلهى قائم على أساس الوحى من القرآن والسنة علاوة على دعامته العقلية المنطقية.

فما نسبه المسيحيون إلى المسيح من دور إلهى أخروى، بناء على تأويلهم لشخصه وأفعاله وأقواله، واختلافهم فى هذا التأويل الذى أدى بدوره إلى نشأة الفرق العديدة والطوائف المذهبية المتناحرة، واضطرار رجال الدين فى الكنيسة إلى مجاراة العقائد الشعبية الموروثة والمتأثرة بالوثنية اليونانية إلى فرض الحلول الوسطى بين التأويلات المتناقضة، لا سيما بعد أن أصبحت المسيحية دين الإمبراطورية الرومانية ثم صار دين البيزنطية الرسمى، واستوعبت شعوباً ذات حساسيات دينية لاصلة لها بالسنة التوحيدية- الممثلة حتى ظهور الإسلام- فى اليهودية، فكان من الطبيعى فى هذه الظروف أن يتشعب علم اللاهوت وأن تتعقد مسالكه حتى أضحى الوقوع فى الهرطقه من الأمور المعهودة، ولم يكن يحد من الذهاب فى التأويل كل مذهب من مذاهبهم سوى وجود سلطة دينية مركزية فى مستوى الأسقفيات أو الأبرشيات أو فى مستوى المجامع " المسكونية" تسعى إلى تحديد العقيدة وصيغ الإيمان وهكذا فبعد أن كانت المسيحية فى الأصل دعوة للتسامى الروحى بالتعاليم والمعتقدات اليهودية فى المسيح المنتظر حين اكتشف فى شخص عيسى، لم تستطع التخلص من الخطرين اللذين كانا يحدقان بها منذ البداية وهما:

١- أن تصبح المسيحية دين أسرار ونوع من الغنوص أو الغموض الذى لا يدرك العقل ماهيته.

٢- أن تحتويها الكنيسة التى من المفروض أن تحميها من الحرفية والشكلية والطقوسية.

ولايخفى على الباحثين فى الديانة المسيحية خطورة هذين الأمرين حيث أكتنفها الغموض وعدم فهم القائمين عليها لما قرروه من عقائد فاسدة وخاصة فى عقيدة التجسد والتثليث والصلب بل ما أكتنفها من التناقض أيضاً فيما قرروه من عقائد مما يدل على أنها من وضع بشر يصيبون ويخطئون فأدى ذلك إلى اضطراب هذه العقائد بل وتناقضها كما لا يخفى على أحد دور الكنيسة والقائمين عليها فى الأساءة إلى الدين المسيحى بل إلى الدين مطلقاً وما نتج عن ذلك من النظام العلمانى الذى يسقط أو يستبعد الدين من شئون الحياة حيث اعتبروه معوقاً للتقدم العلمى ورقى الشعوب فهو أفيون الشعوب أو مخدرهم.

وكان فى تبنى اليعقوبية لآراء الكنيسة المصرية التى كان لها دورها فى دعم العقائد المسيحية وخاصة ما تبنته من القول بأن المسيح طبيعة واحدة إلهية، وأنه ابن الله أو هو الإله بل هو الله وأن الله جوهر واحد ذو أقانيم ثلاثة وأن الجوهر هو الأقانيم والأقانيم هى الجوهر لايفرقون بينهم، وأن الذى صلب وقتل هو المسيح بكماله "ناسوته ولاهوته" الأمر الذى جعل هذه الفرقة "اليعقوبية" مسار نقد من المسيحيين أنفسهم فضلاً عن الملسمين الذين اعتبروها أكثر الفرق المسيحية كفراً بالله تعالى وأخلصهم لقانون الإيمان النيقاوى، وأنهم المعنيون بقوله تعالى: "لقد كفر اللذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم"[1]

(١) سورة المائدة الآيتان ٧١،٧٢.

نتائج البحث

ويمكن أن نتلخص نتائج هذا البحث فى النقاط الآتية:

١- أن ولادة عيسى -عليه السلام- بدون أب جعل أتباعه يذهبون فيه كل مذهب من نسبة النبوة والألوهية إليه، مع أن آدم-عليه السلام- ولد من غير أب أو أم ولم ينسب إليه أنه ابن الله أو أنه إله.

٢- أن المسيحية الحالية بعيدة كل البعد عما جاء به المسيح، وأنها من ابتداع بولس وأتباعه الذى دخل المسيحية ليهدمها من الداخل بعد ما فشل فى محاربتها وهو معتنق لليهودية.

٣- أن عقيدة التجسد ليست سوى جزء من نظام وضعه القائمون على المسيحية ولم يستندوا فيه إلى سلطان إلهى، فكانت كثرة الآراء واختلافها فى المسيح دليلاً إضافياً على أن النظريات المتعلقة به بشرية محضة لا دور للوحى فيها، وأن مقالة النصارى ينبغى أن تخضع للعقل فى جميع جوانبها، فلا مجال لأسرار يتعلق بها الإيمان ولا مشروعية للتقليد الكنسى.

٤- أن فكرة القول بالتثليث فى المسيحية مأخوذة من الديانات الوثنية القديمة كالديانة المصرية القديمة والديانة البوذية، والأفلاطونية الحديثة..، وهذا ما يؤكده "ليون جوتيه" بقوله:" إن المسيحية تشربت كثيراً من الآراء والأفكار الفلسفية اليونانية، فاللاهوت مقتبس من المعين الذى صبت فيه الأفلاطونية الحديثة"[١]

---

(١) المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية صـ٩٣ للمستشرق "ليون جوتيه" طبع باريس-فرنسا-١٩٢٣م.

٥- أن اليعقوبية لمّا لم تفرق بين الجوهر والأقانيم الثلاثة وقعوا في التناقض حيث طابقوا بين شيئين أحدهما غير مختلف وهو الجوهر، والآخر مختلف وهو الأقانيم.

٦- أن عقيدة الصلب والفداء عند اليعقوبية لا تتفق مع عقيدة التجسد والقول بألوهية المسيح ، فثبوت إحداهما يبطل الأخرى.

٧- أن قرب عهد المفكرين الإسلاميين " أصحاب الردود على النصارى" بفرق النصارى الكبرى وخاصة اليعقوبية وانتشارها في بعض من الدول العربية التي دانت بالدين الإسلامي أعطاهم الفرصة في الإطلاع على العقائد المسيحية ومعرفة خلفياتها ومصادرها البشرية، مما مكنهم من عرض هذه العقائد المسيحية كما رواها أصحابها ومناقشتها والرد عليها بالحجة والبرهان.

والله ولي التوفيق،،،،

"مصادر البحث"

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: السنة النبوية المطهرة.

ثالثاً: مراجع أخرى:

١- الكتاب المقدس بعهديه (القديم والجديد)

٢- الأب بولس سباط -مجلة الشرق- تشرين الأول ١٩٤٥م.

٣- أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضارى والاجتماعى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط الثانية ١٩٨٢م.

٤- الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة. د./ على عبد الواحد وافى.، طبعة القاهرة.

٥- الله واحد أم ثالوث - مجدى مرجان- دار النهضة العربية.

٦- التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق. لسعيد بن البطريق، طبعة بيروت - لبنان ١٩٠٦م

٧- تاريخ الموارنة ومسيحى الشرق عبر العصور، لعبد الله بن أبى عبد الله، دار الملفات ، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٨- التمهيد فى الرد على الملاحدة المعطلة والرافضه والخوارج والمعتزلة، للباقلانى- تحقيق د. عبد الهادى أبو ريدة، د. محمود محمد الخضرى. لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة- ١٩٤٧م.

٩- التنبيه والأشراف. للمسعودى - تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوى، طبعة القاهرة ١٩٣٨م.

١٠- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية الجزء الأول والثانى طبعة القاهرة ١٣٢٢هـ. والجزء الرابع تحقيق د.على بن حسن بن ناصر، د. عبد العزيز العسكر، د. حمدان بن محمد الحمدان- العاصمة للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية ١٤١٤هـ.

١١- درء تعارض العقل والنقل - ابن تيمية، طبعة القاهرة ١٩٧١م.

١٢-الرد على النصارى ضمن ثلاث رسائل لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، نشر يوشع فنكل . طبعة القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٨٢م.

١٣- الرد على النصارى- على بن ربّن الطبرى. نشرة الأبوان خليفة وكونشك - بيروت-١٩٥٩م.

١٤- الرد على النصارى لأبى عيسى الوراق - أورد "يحيى بن عدى" ضمن كتابه " تبيين غلط محمد بن هارون المعروف بأبى عيسى الوراق" (مخطوط) فى باريس والفاتكان والقاهرة.

١٥- الرد على النصارى -للقاسم بن إبراهيم الحسينى، نشرة T.D Matteo فى Rso ١٩٢١م.

١٦- العرب النصارى لحسين العودات، طبعة الأهالى للطباعة والنشر- دمشق- سوريا ١٩٩٢م.

١٧- الفصل فى الملل والنحل لابن حزم، تحقيق د. محمد إبراهيم نصر،د.عبد الرحمن عميرة، طبعة دار الجيل- بيروت، لبنان (د.ت).

١٨- الفكر الإسلامى فى الرد على النصارى. د/ عبد المجيد الشرفى. الدار التونسية للنشر- تونس ١٩٨٦م.

١٩- الفكر الإسلامى إعداد لجنة من أساتذة الفكر الإسلامى فى جامعة الإمارات ١٩٩٦م.

٢٠- قصة الأضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام، د. توفيق الطويل ط الزهراء للإعلام العربى - القاهرة- الطبعة الثانية ١٩٩١م.

٢١- قضايا المسيحية الكبرى للقس إلياس مقار، طبعة القاهرة.

٢٢- الكتاب الأوسط فى المقالات للناشئ الأكبر - طبعة بيروت-لبنان- ١٩٧١م.

٢٣- محاضرات فى النصرانية للإمام محمد أبو زهرة، طبعة دار الفكر العربى القاهرة- مصر- ١٩٨٢م.

٢٤- المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية، ليون جوتيه، "طبع باريس- ١٩٢٣م.

٢٥- مذاهب وملل وأساطير فى الشرق الأدنى والأوسط جاك كاليبو، نيكول كاليبو- تعريب فارس غصون . الناشر دار الفارابى- بيروت-لبنان. الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٢٦- مروج الذهب ومعادن الجوهر -للمسعودى - تحقيق محى الدين عبد الحميد- طبعة القاهرة ١٩٤٨م.

٢٧- المسيحية العربية وتطوراتها من نشأتها إلى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى. د. سلوى بلحاج. دار الطليعة، بيروت -لبنان- طبعة أولى، ١٩٩٧م.

٢٨- المسيحية نشأتها وتطورها. لشارل جنيبر- ترجمة الشيخ د. عبد الحليم محمود- طبع المكتبة العصرية- بيروت (د.ت).

٢٩- مشكلات العقيدة النصرانية د. سعد الدين صالح . دار الأرقم - للطباعة والنشر- الزقازيق- مصر- الطبعة الثالثة ١٩٩٢م.

٣٠- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للرازى المطبعة المعاصرة- القاهرة ١٣٠٨هـ.

٣١- مقارنة الأديان (٢) المسيحية ،د. أحمد شلبى - مكتبة النهضة، المصرية، الطبعة السادسة ١٩٧٨م.

٣٢- الملل والنحل للشهرستانى بها من الفصل فى الملل والنحل لابن حزم -مكتبة السلام العالمية .(د.ت).

٣٣- الموسوعة العربية الميسرة - محمد شفيق غربال. دار النهضة بيروت-لبنان- ١٩٨٠م.

٣٤- نصرانية عيسى ومسيحية بولس. صلاح العجماوى. طبعة الإسكندرية ١٩٨٩م.

٣٥- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس- بيروت- دار الثقافة ١٩٧٣م.

أ . هـ .